جامــعة الجيلالي بونعامة خمـيس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

معهد العلــوم الإنسانية

قسم التّاريخ

تخصص: دراسات إفريقية

قبائل الغرامنت و دورها الحضاري

(القرن 5 ق.م – القرن 3 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الإفريقية.

من إعداد الطالبين:

موري لوصيف

مكي نوال

تحت اشراف الاستاذ:

حدادو بوغرطة

السنة الجامعية:

2016 – 2017 م

كلمة شكر وتقدير

نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كل أساتذة الدّراسات الإفريقية، وعلى وجه الخصوص الأستاذ المشرف، الّذي لم يبخلنا بتوجيهاته, و الأستاذ شعباني نور الدين، وإلى كلّ الأساتذة الّذين علّمونا ووجهونابكل صدق، وأناروا لنا الطّريق إلى النّجاح، فمنّي إليهم وقفة إجلال واحترام.

كما نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كلّ من الزّملاء و الأصدقاء الطلبة، وإلى كل الذين نعرفهم من قريب أو من بعيد.

لوصيف و نوال

نهـدي ثمرة جهدنا

إلى أغلى نعم الله علينا في هذا الكون...إلى من كانتا عيناهما دائما تحرسنا:.

إلى ذات النبع الصافي والحب والحنان الدافئ...سر ابتسامتنا في الوجود، ... أمهاتنا الغاليتان أدام الله لهن الصحة والعافية وطول العمر.

إلى ذلك الموجهان المربيان المعلمان أطال الله في عمرهما...أبانا .

إلى كل أفراد عائلتنا ..

إلى :أصدقائنا في ا الجامعة و في القرية و أيضا إلى أقاربنا و كل الذين لا تزال تربطنا بهم علاقة طيبة

قائمة المختصرات

ب . سلامة : بيير سلامة

ه . ج . هوجو : هنري جون هوغو

ط : الطبعة

د ط : دون طبعة

د د ن : دون دار النشر

د ت ن : دون تاريخ النشر

- A : Alfred
- C.R.A.S.C : Centre de Recherches en Anthropologie Sociale et Culturelle
- Ed: Edition
- G: Gabriel
- J: Jehan
- M: Marianne
- P : Pol
- R : Robert
- Trad : Traduction

مقدّمة

مقدّمة:

من هم الغرامنت فإذا عدنا إلى المؤرخون القدامى اليونانيون و الرومانيون نجدهم يذكرون الغرامنت على أنهم إحدى الشعوب الليبية الصحراوية التي استقرت في إقليم فزان الواقع بجنوب ليبيا الحالية ، و المصادر القديمة ميزتهم أيضا عن القبائل الليبية الأخرى كالجيتول و المور و النسامونس و غيرها ، و اليوم بعد تقدم الدراسات الأثرية حول الغرامنت اصحبنا نسمع عن الحضارة الغرامنتية في كل الميادين فعندما نسمع كلمة "الغرامنت" أو "garamantes" باللغة الأجنبية يتبادر إلى الذهن تلك القبائل الليبية الصحراوية التي فرضت سيطرتها على منطقة واسعة من الصحراء الوسطى و التي كانت لها علاقات مع غيرها من الشعوب و التي مازالت أثار حضارتها باقية إلى اليوم ، و لكي نفهم جيدا أصولهم و تاريخهم و دورهم الحضاري و علاقتهم بالشعوب الأخرى علينا أن ندرس الصحراء الكبرى كفضاء جغرافي طرأت عليه عدة تغيرات مناخية و استقرت فيه عدة شعوب و من بينهم قدماء البربر (paléo–berbères) خصوصا أن الصحراء الكبرى هو ميدان خصب للدراسات الأثرية لما يحتويه من آثار مادية تعكس التنوع البشري الذي يعود إلى فترة ما قبل التاريخ ، و من جهة أخرى فإن التعرف على التاريخ السياسي و الحضاري للغرامنت يعني محاولة إلقاء الضوء على حضارة الصحراء الكبرى خلال العصر القديم .

لقد قمنا بتحديد فترة موضوعنا بالفترة الزمنية الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد و هذا راجع إلى كون هذه الفترة تمثل المرحلة التي عرف فيها الغرامنت التطور السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و العمراني و الحضاري بصفة عامة .

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة دوافع و أسباب و لعل من أبرزهانجد:

1_ الرّغبة في معرفة طبيعة العلاقات القائمة بين القبائل البربرية الصحراوية و شعوب إفريقيا ما وراء الصحراء خلال العصر القديم من جهة و مع عالم البحر المتوسط من جهة أخرى .

2_ يعتبر دراسة تاريخ الصحراء و الكبرى و شعوبها من المواضيع الشيقة و التي تحتاج إلى المزيد من الدراسات التاريخية و الأثرية.

3_ الرّغبة في التعرف على تاريخ شعب الغرامنت و إلقاء الضوء على الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و العمرانية من حضارتهم .

4_ يعتبر البحث في تاريخ القبائل البربرية الصحراوية بشكل عام خلال العصر القديم من المواضيع التي يتفادها معظم الطلبة فلم يسبق أن قام أحد بإنجاز بحث أو مذكرة حول الغرامنت على الرغم من أهمية الموضوع.

.

الإشكالية المطروحة :وكما هو مألوف لا يخلو أي بحث تاريخي من إشكالية عامة يقوم الباحث بالإجابة عنها من خلال توسعه في البحث وإلمامه بجميع جوانبه، وكانت إشكالية موضوعنا هذا هي : باعتبار الغرامنت من الشعوب الصحراوية البعيدة نسبيا عن عالم البحر المتوسط ، **فما هي أصولهم و ما هي ابرز مميزات حضارتهم ؟**

وعلى ضوء هذه الإشكالية العامة يتبادر إلى ذهننا مجموعة من التّساؤلات الفرعية المتمثّلة فيما يلي:

1 _ ما هو دور الباليونتولوجية (la paléontologie) و علم الآثار في معرفة أصول الغرامنت التي تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث ؟

2 _ ما هي أهمية الفن الصخري في معرفة أصول و تاريخ الغرامنت ؟

3 _ كيف عالج المؤرخون القدامى مسالة الصحراء و الشعوب الصحراوية عامة و الغرامنت بصفة خاصة ، و ما هي أهمية و محدودية النصوص التي كتبوها في ما يخص الغرامنت مقارنة مع المعطيات الأثرية الأخرى ؟ .

4 _ كيف كانت الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و ما هي أهم مميزات حضارتهم طول الفترة المذكورة (من القرن 5 ق م إلى القرن الثالث م) ؟ .

5 _ كيف كانت الاتصالات و العلاقات العابرة الصحراء خلال العصر القديم خاصة التجارية ، و هل يمكن القول أن الغرامنت كانوا يمثلون حلقة وصل بين عالم البحر المتوسط و إفريقيا ما وراء الصحراء ؟ .

6 _ كيف كانت علاقة الغرامنت مع غيرهم من الشعوب و القبائل المجاورة لهم : معالأفارقة و مع حضارات البحر المتوسط ؟ .

و للإجابة على الإشكاليات الفرعية المطروحة قمنا بتقسيم بحثنا هذا الى ثلاثة فصول:

الفصل الأول :المعنون باسم: **بلاد الغرامنت طبيعيا و بشريا و تاريخيا** ، فيه قمنا بتحديد الإطار الجغرافي و الطبيعي لبلاد الغرامنت ، كما تناولنا فيه قضية إعمار الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث و الجماعات البشرية التي سكنت الصحراء في تلك الفترة مع ذكر أصول الليبيين أو البربر و مسالة استقرارهم في الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث ، كما تناولنا أهمية الفن الصخري في معرفة أصول و تاريخ الغرامنت ، و في الأخير قمنا بالمقارنة بين نصوص المؤرخون القدامى و الأبحاث الأثرية الحديثة حول الغرامنت .

الفصل الثاني: المعنون باسم: **المظاهر الحضارية للغرامنت**، فيه قمنا بالتطرق إلى الحياة السياسية و الاجتماعية لدى الغرامنت ، ثم الحياة الاقتصادية التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على الزراعة، و أخيرا الحياة الثقافية بمختلف جوانبها : العمران باعتباره الجانب الذي

يبرز تقدم حضارة الغرامنت، والمجتمع و مكانة المرأة ، العادات و التقاليد الاجتماعية الأخرى كاللباس و الحرف و الفن ، المعتقدات الدينية و الطقوس الجنائزية .

الفصل الثالث : المعنون باسم : **علاقة الغرامنت بالشعوب الأخرى** ، فيه قمنا بالتطرق إلى موضوع الاتصالات و العلا قات بين شمال الصحراء و جنوبها مع التركيز على الطرق التجارية الصحراوية و أهمية الموقع الاستراتيجي لعاصمة الغرامنت في ما يخص الاتصالات عبر الصحراء ، ثم انتقلنا إلى الحديث علاقة الغرامنت بالشعوب الأخرى : مع إفريقيا ما وراء الصحراء و مع غيرهم من الليبيين، و أيضا مع حضارات البحر المتوسط و هي الحضارة القرطاجية ، و أخيرا علاقتهم مع الرومان .

والخاتمة: تضمنت خلاصة أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال التطرق لموضوع الغرامنت من القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن الثالث بعد الميلاد .

المنهج المتبع : لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التّاريخي التحليلي، قصد الإجابة عن التّساؤلات المطروحة ولتسهيل الوصول إلى الحقيقة التّاريخية كما اعتمدنا أيضا على المنهج المقارن خاصة فيما يخص المقارنة بين المعطيات النصية و الأثرية .

البيبليوغرافيا : أمّا فيما يخص البيبليوغرافيا المعتمدة فلقد سعينا لتنويعها من أجل إثراء الموضوع ، ففي ما يتعلق **بالمصادر:** فلقد اعتمدنا على كتاب التاريخ لهيرودوت حيث يعتبر أول مؤرخ كتب عن الغرامنت و قدم معلومات قيمة عنهم ، كما عدنا أيضا الى كتاب الجغرافيا للمؤرخ و الجغرافي سترابون (Strabon : géographie) فيه قدم لنا بعض المعلومات خاصة ما يتعلق بالموقع الجغرافي لبلاد الغرامنت و بعض التفاصيل عن الحياة الثقافية ، و أيضا كتاب التاريخ الطبيعي المؤرخ الروماني بليني (Pline , histoire naturelle v) فيه معلومات عن الجغرافيا الطبيعية لبلاد الغرامنت وأيضا تحدث بشكل موجز عن علاقتهم مع الرومان خلال نهايات القرن الأول قبل الميلاد ، كما عدنا أيضا إلى كتاب الجغرافيا الرياضية للجغرافي اليوناني كلوديوس بطليموس المترجم من الإغريقية إلى

الفرنسية (Claude Ptolémée, géographie mathématique) و يحتوي هذا الكتاب على معلومات تخص الجانب الطبيعي لبلاد الغرامنت كما قدم معلومات عن العلاقات بين الغرامنت و الرومان خلال القرن الثاني للميلاد ، و كتاب المؤرخ الروماني تاسيت

(tacite , œuvre complète de tacite) المترجم من اللاتينية إلى الفرنسية فيه تحدث عن دعم الغرامنت للثائر النوميدي تاكفاريناس في حروبه ضد الاحتلال الروماني .

و في ما يتعلق بالمراجع فلقد اعتمدنا بشكل أساسي على الكتابين: الغرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء للمؤرخ و عالم الآثار الإنجليزي تشارلز دانيلز و كتاب جرمة من تاريخ الحضارة الليبية للمؤرخ و الباحث الليبي محمد سليمان أيوب و هذا راجع إلى كون هذين العالمين من بين الذين قاموا بالأبحاث الأثرية في فزان ، و أيضا كتاب البربر ذاكرة و هوية للمؤرخ و عالم الآثار الفرنسي غابريال كامبس خاصة ما يتعلق بفترة ما قبل التاريخ و قبيل التاريخية ، و أيضا المجلدين الأول و الثاني من كتاب تاريخ إفريقيا العام الذي أصدرته منظمة اليونسكو ، و كتاب التاريخ الليبي القديم لعبد اللطيف محمود البرغوثي في ما يتعلق ببعض الجوانب الثقافية للغرامنت و أيضا ما يخص الاتصالات و طرق القوافل التجارية الصحراوية خلال العصر القديم ، و كتاب تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير لبوفيل فيما يتعلق بالتجارة الصحراوية و العلاقات بين الغرامنت و الرومان ، وكتب أخرى

واعتمدنا أيضا في بحثنا هذا على العديد من الدراسات التي نشرت على شكل مقالات ونذكر أهمها وهو المقال المترجم من الإنجليزية إلى الفرنسية للباحث الإنجليزي دافيد ماتنجلي يعتبر هذا الأخير احد علماء الآثار الذين قاموا بأبحاث ميدانية في فزان (Mattingly , nouveau aperçus sur les garamantes un état saharien ?)

و اعتمدنا أيضا على العديد من المقالات الأخرى المتعلقة بالموضوع

صعوبات البحث: لقد واجهتنا خلال مرحلة البحث مجموعة من الصّعوبات التّي يمكن لنا إجمالها فيما يلي:

- نقص المادة التّاريخية في المكتبة الجامعية فهي فقيرة من حيث المصادر والمراجع المتعلّقة بتخصّص الدّراسات الإفريقية وكذا المتعلّقة بموضوع الدّراسة.
- ضيق الوقت المخصّص للمذكّرة المقدّر ب 4أشهر.
- قلّة المصادر الّتي تناولت الموضوع ، و تجدر الإشارة إلىأن المؤرخون القدامى لم يكتبوا عن الغرامنت إلا معلومات قليلة جدا
- عدم التّحكّم في اللّغة الإنجليزية حال بيننا وبين استعمال المراجع الإنجليزية.
- عدم توفّر بعض المراجع المكتوبة سواء في المكتبات أو على الانترنت .

ورغم كلّ هذه الصّعوبات إلاّ أنّنا استطعنا أن نكمل هذه المذكّرة بعون اللّه وكذا بفضلتوجيهات الأستاذ المشرف الّذي وجّهنا إلى مراجع استفدنا منها في بحثنا هذا.

الفصل الأول

الفصل الأول: بلاد الغرامنت طبيعيا و بشريا و تاريخيا

المبحث الأول: التحديد الجغرافي و الطبيعي لبلاد الغرامنت

1) التحديدالجغرافي:

يعتبر إقليم فزان الواقع جنوب و جنوب غرب ليبيا الموطن الأصلي للغرامنت، ومن المعروف أن فزان قديماً كان أوسع بكثير مما هو عليه الآن، فقد كان يمتد من الناحية الشمالية على طول السفوح الجنوبية لجبل نفوسة و يدخل فيه المرتفعات المعروفة اليوم باسم جبال الصالحات و مسلاتة و وادي زازامت و واحات بونجيم و جالو، و كانت منطقة غدامس من بين المناطق المهمة في فزان، و أما الحدود الشرقية لإقليم فزان كانت تمثل منطقة واحات الكفرة، و إقليم برقة، أما جنوباً كانت تحده هضبة التبستي و جبل طومو الذي يفصل بين ليبيا و التشاد حالياً و هضبة التاسيلي في الجنوب الغربي، أما من جهة الغرب كانت تحده المنطقة الوسطى من شرق الجزائر و المسماة بالعرق الشرقي الكبير[1].

و إقليم فزان يقع على الناحية الشمالية من وسط الصحراء الكبرى التي تمتد من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً و بين سواحل البحر المتوسط و جبال الأطلس الصحراوي شمالاً إلى منطقة السافانا الإفريقية جنوباً، و الصحراء الوسطى هو الحيز الجغرافي الذي يمكن حصره ما بين خط غرينتش غرباً الذي يمر بعين صالح و شرق مالي، و أما جنوباً يمتد من منطقة أدرار الإفوغاس إلى غاية منطقة الإينيدي بالتشاد ويشمل أيضاً منطقة الآيبير بالنيجر[2]، أما شرقً فهو يمتد من منطقة الإينيدي إلى غاية هضبة التبستي، و شمالاً يشمل إقليم برقة و فزان و منطقة الهوقار و التاسيلي[3].

[1]– محمد سليمان أيوب، جرمة: من تاريخ الحارة الليبية، ط[1] دار المصراتي للطباعة و النشر: طرابلس ـ ليبيا 1969، ص 9 .

[2]– أنظر المحلق رقم 1 ص77 .

[3]– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق،ص 10 .

2)مظاهر السطح:

تتسم مظاهر السطح في فزان بالمظهر الصحراوي فنجد سلاسل الجبال ذات القمة المسطحة و تعرف باسم الحمادة مثل الحمادة الحمراء التي تفصل غدامس عن وادي الشاطئ، و غدامس واحد في الصحراء فيها أبار و عيون كثيرة، ويعتبر جبل السوداء وجبل حسونة خط تقسيم للمياه حيث تنحدر من سفوحها الشمالية الأودية التي تصب في البحر المتوسط مثل وادي المالحة و وادي غيلان، و أما من السفوح الجنوبية فتنحدر منها الأودية التي تصب في الأحواض الداخلية المغلقة لفزان مثل وادي زجرا و مسعودة اللذان يصبان في وادي الشاطئ، و يعتبر وادي الشاطئ و وادي الآجال أكبر الأودية بفزان و يبدو أنهما كانا مجريين لنهرين قديمين و كان وادي الآجال يمتد شمالاً حتى يلتقي بوادي الشاطئ عبر واحات البوانيس التي تقع عليها سبها، ومن المحتمل أن ذلك النهر كان يشق طريقه شمالاً عبر جبال السوداء ليصب في البحر المتوسط، و من المحتمل أيضاً أنه كان نهراً ذا تصريف داخلي أي كان يصب في بحيرة داخلية، و يمتد وادي الشاطئ اليوم من الغرب إلى الشرق و هو وادي منخفض كثير المياه الجوفية، و تتفجر فيه العيون وبعضها حارة مثل عين المحروقة، و تتناثر عليها القرى من الغرب إلى الشرق[1] .

و تفصل وادي الشاطئ عن واحة البوانيس كثبان عالية من الرمال تسمى الزلاف، و الزلاف يمثل امتداد للصحراء الرملية المسماة بصحراء أوباري، وهي بدورها تعتبر امتدادا لبحر الرمال الذي يغطي المنطقة الوسطى من الشرق الجزائر و المسمى بالعرق الشرقي الكبير[2] وتعتبر صحراء أوباري من أشد الصحاري عبوراً بسبب كثبانها الرملية العالية حيث أصبحت تمثل بوقعها الجغرافي حماية طبيعية على وادي الآجال الواقع للجنوب منها و يوجد بهذه الصحراء سلسلة من البحيرات المالحة كانت بعضها فوهات لبعض للبراكين الخامدة مثل

[1]- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 12 .

[2]- نفسه، ص 13 .

بحيرة قبر عون، و وادي الآجال هو واد منخفض يقع بين صحراء أوباري في الشمال و الهضبة الصخرية في الجنوب المسماة بحمادة مرزق، و تتعرج السلسلة المكونة لحمادة مرزق في اتجاهها مكونة في الوادي برزخاً أو خلجاناً، و تنحدر الأرض من كلاًّ الجانبين (جهة الهضبة الصخرية في الجنوب و الهضبة الرملية في الشمال) تدريجياً حق تصل إلى أقل انخفاض لما في بطن الوادي، و لهذا السبب نجد أن المياه الجوفية تخرج هناك تلقائياً على شكل عيون، و يوجد في وادي الآجال من الغرب إلى شرق القرى التالية: أوباري، جرمة، لوركو، الرجيبة، بنبيا، خليف، الأبيض[1]

كما توجد هناك كتلة من الجبال على شكل رأس صخري يمتد من الجنوب إلى الشمال حيث يتصل بالهضبة الرملية، و تقوم هذه السلسلة بتقسيم وادي الآجال إلى قسمين: القسم الشرقي المعروف باسم الوادي الشرقي، و القسم الغربي المعْروف بالوادي الغربي، و وادي الآجال كوادي الشاطئ كثير المياه الجوفية لاسيما في بطن الوادي إذ أن المياه قريبة جداً السطح . ووادي الآجال تحده سلسلة حمادة مرزق من الناحية الجنوبية و هي تمتد غرباً بانحناء يسير للجنوب الغربي و تمتد قبالة وادي إراوان(Irawan) الذي يمكن اعتباره الامتداد الطبيعي لوادي الآجال، ثم نجد سلسلة حمادة مرزق تنحني فجأة اتجاهها نحو الجنوب و تعرف هناك باسم سلسلة جبال أمساك السوداء حيث تتصل بهضبة التاسيلي الواقعة للجنوب منها عن طريق سلسلة من جبال المسماة بالأمساك البيضاء[2].

و تنحدر السفوح الجنوبية لسلسلة حمادة مرزق حيث تنتهي بأرض مسطحة تمتد على مدى البصر تكسوها طبقة خفيفة من الحصى و تعرف هذه المنطقة باسم: سرير مرزق، وهي أرض قاحلة جرداء، وشرق هذه المنطقة تقع هضبة الهروج الأسود وهي كتلة ضخمة من الهضاب ذات الأحجار الداكنة الشديدة السواد و تمتد هذه الهضاب من الشمال إلى

[1]– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 13 .

[2]–نفسه، ص 17 .

الجنوب لتفصل إقليم برقة عن إقليم فزان أما في المناطق الجنوبية نجد منطقة الكفرة في الجنوب الشرقي و بها هضبة متوسطة الارتفاع فيها بعض المرتفعات الصخرية و الكثبان الرملية و أيضاً الأرض المسطحة المعروفة بالسرير، أما في الجنوب الغربي نجد مرتفعات تادرارت وهي امتداد لهضبة التاسيلي[1].

3) المناخ:

إقليم فزان يسود فيه المناخ الصحراوي الذي يتميز بالحرارة الشديدة و الجفاف صيفاً و البرودة الشديدة شتاءاً، كما أن الفرق بين درجات الحرارة بين الليل و النهار كبير جداً و هو ما يتسبب في تفتيت الصخور و تآكل التربة،و الأمطار نادراً ما تسقط إلاً في الجهات الشمالية المتاخمة للسهول القريبة من البحر المتوسط كما تسقط بعض الأمتار الشتوية في بعض الجهات الداخلية مثل وادي الشاطئ و واحات سبها و البوانيس، أما جنوب إقليم فزان تسقط أحيانا بعض الأمتار نتيجة و صول بعض السحب الاستوائية إلى الأطراف الجنوبية من فزان ، مما يسبب فيضانات في بعض الأدوية في جهات غات[2]

المبحث الثاني: أصول الغرامنت من خلال المعطيات الأثرية و الباليونتولوجية

1)إعمار الصحراء الكبيرة خلال العصر الحجري الحديث:

[1]–محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 19 .

[2]– نفسه، ص 21 .

إن ما ميز إعمار الصحراء الكبرى خلال فترة العصر الحجري الحديث المسمى أيضاً بالنيوليتي[1] هو أنه مرتبط بالتغيرات المناخية التي تعود إلى حوالي 12000 سنة، حيث عرفت الصحراء مرحلة الرطوبة و الأمطار بعد فترة جفاف[2] ، ففي الألف السابعة (ق. م) كانت هناك بحيرات يصل عمقها إلى عشرات الأمتار كانت تغطي مساحات شاسعة، و كانت توجد مواقع على ضفاف هذه البحيرات وفي الأودية التي تصب فيها قد اشتمل بعضها على بقايا أسماك معظمها من ذات الأحجام الكبيرة، كما كانت المرتفعات الواقعة وسط الصحراء تغطيها أشجار البلوط و الزيزفون الجوز و المغث و الدردار، أما السفوح الجنوبية و المناطق المنخفضة كانت تنمو فيها أشجار الصنوبر و الميس و الزيتون و الوزال و غيرها ، و كانت الثورة الحيوانية متنوعة فنجد الفيالة و الزرافة ووحيد القرن و النعام و حمار الوحش و الأسود و التماسيح و حتى السمك و الطيور المائية[3] .

و في هذا الحيز الجغرافي قامت أول حضارة متميزة عرفت صناعة الخزف و صقل و نحت الحجارة و تطور النمط المعيشي القائم على الرعي و الصيد و جني الثمار و بداية ظهور زراعة بدائية أو ربما زراعة حقيقية. و ما ميز ايضا إعمار الصحراء خلال العصر الحجري الحديث هو التنوع البشري: فنجد البيض من جهة، و السود من جهة أخرى، و لقد استعملعلماء الآثار عبارة : "أهل العصر الحجري الحديث ذوي التقاليد السودانية" للإشارة إلى إعمار الصحراء من طرف الأقوام ذوي البشرة السوداء، كما استعملوا عبارة :

[1]– يستعمل للدلالة على ظهور تقنيات جديدة لاسيما في فن الحرف و حقل ونحت الحجر و بداية تأهيل الحيوانات و ظهور الزراعة و العمران ففي الصحراء الكبرى ذلك العهد يعود إلى الألف السادسة قم أنظر: Larousse :Histoir des civilisations en 6700 dates, Ed, Larousse.

[2]– الربيع عولمي، إعمار الصحراء الكبرى إبان العصر النيوليتي من خلال الرسوم، مجلة الواحات للبحث و الدراسات، العدد15، 2011 جامعة الحاج لخضر باتنة 2013، ص 3

[3] - غابريال كامبس، البربر ذاكرة و هوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، ط1، أفريقيا الشرق– المغرب، ص 90 .

"أهل العصر الحجري الحديث ذوي التقاليد القفصية" للإشارة إلى إعمار الصحراء من طرف الجنس الأبيض ذو الملامح المتوسطية و هم قدماء البربر[1] .

2) أهل العصر الحجري الحديث ذوي الأصول السودانية :

نحن نجهل الكثير عن الموجات البشرية الأولى التي استوطنت الصحراء الوسطى فما لدينا هو مجموعة من الفرضيات، و من بينها الفرضية التي طرحها هـ.ج. هوجو و التي تقول أن الجماعات البشرية الأولى التي استقرت في الصحراء الوسطى هي تلك التي تكونت على ضفاف النيل موازية لمستوى الخرطوم، و تحركت من الشرق إلى الغرب ثم إلى الشمال حتى و صلت إلى المنطقة الهوقار و التاسيلي و الساورة دون أن تبلغ المحيط الأطلسي[2]، و هناك فرضية أخرى طرحها الباحثان الألمانيان هالي إلريشUlriche Hallier و زوجته هالي بريجيت Hallier Brigiter، وتقول هذه الفرضية أن إعمار الصحراء من طرف الشعوب ذوي البشرة السوداء خلال العصر الحجري الحديث كان بسبب هجرة من منطقة جادو النيجيرية نحو الشمال حتى و صلت إلى منطقة التاسيلي[3] .

و هناك فرضية أحرى تقول أن الموطن الأصلي لهذه الشعوب الزنجية كانت منطقة تادرارت الجنوبية حيث أدت الأبحاث التي قام بها كل من فرحات نجيب و ميشال توفرا إلى افتراض وجود طور أولي لهذه الشعوب في منطقة تادرارت الجزائرية[4] ، و تعرف تلك الحضارة من خلال خصائصها، فهؤلاء الأقوام كنوا صيادي السمك و الحيوانات الأخرى و كانوا يجنون الثمار و كانوا أيضاً مغرمين بلحم فرس النهر و ثمار النشم و أكل سمك البحيرات و سلحفاة المياه و قثاء الماء، و الصيد عندهم كان يعتمد على القوس و الرمح و على استعمال

---

[1]- هـ.ج.هوجو، الصحراء فيها التاريخ، المجلد الأول: المنهجية و عصر ما قبل التاريخ في إفريقيا، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، دط، جون أفريك، باريس 1989، ص 591 .

[2]- نفسه، ص 592 .

[3]- لخضر بن بوزيد، التاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ: المعتقات و الفن الصخري، دط، ددن، د ت ن،ص 91 .

[4]- نفسه، ص 92 .

المخاطيف و الصنارات العظمية، وكان الفأس و آلات العزق و الهرس الحجرية من بين معداتهم، كما عُرِفت تلك الحضارة أيضاً بازدهار صناعة الفخار وتزويقة وجمال أشكاله[1] .

كما أن اكتشاف أثار اللب لفصائل القرعيات في الحفريات يجعلنا نعتقد بوجود شبه فلاحة بداية، كما تميزت أيضاً تلك الحضارة بأنها عرفت صناعة الخزف و لم تكن قد أخذت مكوناتها من الخارج و لم يكن لها جذور متوسطة[2] .

و الفترة الزمنية التي غطاها النيوليتي ذو الأصول السودانية يبدو أنه يمتد من الألف السابعة حتى الألف الثانية قبل الميلاد[3] .

3)أهل العصر الحجري الحديث ذو الأصول القفصية:

أ) الإنسان العاقل في شمال إفريقيا: لكي نفهم كيف تم تعمير منطقة الشمال إفريقيا علينا أن نعود بآلاف السنين إلى الوراء، و أن نضع أنفسنا في الفترة التي يسميها المختصون بالبابيوليتي الأعلى أو العصر الحجري الأعلى و التي تعود حوالي 30000 سنة ق.م ، ففي تلك الفترة تأكد وجود إنسان من جنسنا و هو الإنسان العاقل العاقل (Homo sapiens sapiens)، و هو صاحب الثقافة العاترية المشتقة من الموستيرية[4]، وهذا الإنسان اكتشف في موقع دار السلطان، و هو منحدر من الإنسان الموستيري الذي تم العثور عليه في جبل إرحود، ومن أهم مميزات الثقافة أو الصناعة العاترية : إبتكار شكل جديد من أشكال وضع المقابض، و المتمثل في إبراز ما يشبه الرُّجَيْلُ، أو السُويق بلمسات متتالية في الجزء الأسفل

---

[1]– هـ.ج. هوجو، المرجع السابق، ص 592 .

[2]– نفسه، ص 593 .

[3]– جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 – 1000) ق.م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم (غير منشورة) ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007–2008، ص 109 .

4– سميت بهذا الاسم نسبة إلى بئر العاطر الواقع شرق الجزائر والذي وجدت به ودرست فيه أدوات هذه الصناعة لأول مرة: انظر غابريال كامبس البربر ذاكرة و هوية ، ترجمة عبد الرحيم حزل .

من الأداة الحجرية، و هذه التقنية في تثبيت الأداة إلى مقبضها لم تكن معروفة في الصناعات الموستيرية الأوروبية، و لقد تم إعمالها في سائر أنواع الأسلحة و المعدات من أسنة و مكاشط، و محاك و أزاميل و مثاقب،[1] وأما نهاية الثقافة العاترية تتزامن مع تغير مناخي كبير حيث حلت مرحلة جديدة الجفاف بلغت ذروتها حوالي 18000 سنة قبل الميلاد[2] .

في الفترة الممتدة ما بين 20000 سنة ق.م إلى غاية 7000 سنة ق.م انتشرت في شمال إفريقية صناعة أو ثقافة أخرى سميت بالإيبيرومغربية أو الإيبيروموريةَ[3] ، وهذه الصناعة مرتبطة بإنسان مشتى اَلْعَرْبي، حيث الملامح الجسمانية هي : طول القامة 1,74 م عنه الرجال وسعة الجمجمة هي 1650 سم[3] و إنعدام التناسق بين الوجه العرض و القصير بمحجريه المستطيلين حيث يفوق عرضهما ارتفاعها و بين الجمجمة ذات الشكل المستطيل، و هذا الإنسان كان له إنتشار واسع في المناطق الساحلية و التلية، و من خصائص الثقافة الإيبيرومغربية : نجد صغر قطعها الحجرية، و معظمها نصيلات ، حيث طُرِقَ احد جانبيها ليشكل ظهرا و أبقي على الجانب الأخر حاداً قاطعاً، و غالباً ما تثبت إلى أذرع من خشب، أو من العظام لتصير أدوات و أسلحة فتاكة[4] .

ويسلم اليوم علماء الإناسة المتخصصون في منطقة شمال إفريقيا مثل الباحث فيريمباخFerembach و الباحثة ماري كلود شاملاً M.C.Chamla بوجود نسب مباشر و موصول بين إنسان جبل إرحود صاحب الثقافة الموستيرية التي انبثقت منها الثقافة

[1]– غابريال كامبس، المرجع السابق، صص 70–72 .
[2]– لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 119 .
[3]- لقد اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة لا علاقة لها إطلاقاً بإيبيريا وأنها حضارة محلية صرفة .
[4]– غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 73 .

العاترية و أشباه الكرومانيون ومن بينهم إنسان مشتى العربي، و لا يستبعد أن يكون الإنسان العاتري المكتشف في دار السلطان بالمغرب هو الوسيط بينهما[1].

لقد أخذ مشتى العربي في الاندثار رويداً رويدا مفسحاً المجال لنوع أخر من البشر، لكنه لم يندثر كلية فقد تم العثور على نسبة 8% من الجماجم الشبيهة بما عند إنسان مشتى العربي و التي العود إلى الفترة التاريخية خاصة في المقابر البونيقية، كما تم العثور على جماجم تعود إلى الفترة الرومانية شبيهة بجماجم إنسان مشتى العربي[2] .

<u>ب) الحضارة القفصية</u> : إبتداءًا من الألف الثامنة ق.م ظهرت سلالة جديدة من الإنسان العاقل له خصائص شعوب البحر الأبيض المتوسط كما نعرفهم حالياً ، و يتميز هذا الإنسان عن إنسان مشتى العربي، و هذا الإنسان هو مؤسس الحضارة القفصية، و يتميز بخصائصه الجسمانية بأنه أكثر انسجاما في تفاصيل الجمجمة : المحجران مربعان و الأنف ضيق، و الهيكل العظمي أكثر خشونة وزاوية الفك ليست منحرفة إلى الأمام، و طول القامة هي 1.75 بالنسبة للرجال و 1.62 بالنسبة للنساء، و أطلق على هذا النوع صفة ما قبل المتوسطي أو الفجر متوسطي: (proto–méditerranéen)[3] ، و الحضارة القفصية هي حضارة داخلية عكس الإيبيرومغربية التي تتركز في السواحل، فالحضارة القفصية تتركز أثارها قرب السبخات و الأودية و البحيرات و الأنهار، و لقد تمكن الباحثون من التعرف على خصائص هذه الحضارة من خلال مواقعها التي سميت ب: المحلزات (escargotières) وهذا نظرا لوجود كميات كبيرة من أصداف الحلزون في تلك المواقع[4] .

[1]– غابريال كامبس، المرجع السابق،ص 75 .

[2]– نفسه، ص 76.

[3]- انظر الملحق رقم 2، ص78.

[4]– غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 78 .

و مصطلح " ققصي" أو الحضارة القفصية هو اسم أطلقه المؤرخ و عالم الآثار ج.دي مورغان سنة 1909 على المواقع الأثرية الواقعة بضواحي منطقة قفصة التونسية[1].

لقد أتاحت لعلماء الآثار التنقيبات التي أجريت في المواقع القريبة من مدينة قفصة و في مناطق أخرى في تونس و الجزائر من أن يحصلوا على معرفة مرضية بالقفصين و أنشطتهم، و تعرف تلك الحضارة بخصائصها المتميزة : فنجد صناعة الحجر التي تتميز باستعمال أدوات ذات شفرات أو نصيلات مُطَرَّقة أحد الجانبين، و مناقيش و هياكل ذات أشكال هندسية (المثلثات و المربعات المحرفة) و سكاكين و أزاميل ذات أشكال مختلفة ، و القفصين الفجر متوسطيين وفق الكثير من المختصين و علماء الآثار و المؤرخين يمثلون رأس السلالة البربرية التي تعود إلى حوالي 9000 سنة تقريبًا[2] .

أما الفن القفصي له أهمية بالغة لدى الأثريين و الأنترولوجيين على السواء خاص فيها يتعلق بالوشم وأيضاً في النسيج و في زخرفة الفخار و حتى على الجدران و خاصة نقش و تزويق بيض النعام حيث تعتبر أقدم الأعمال الفنية في شمال إفريقيا و وفق ما ذهب إليه كامبس و آخرون فإن الفن القفصي يمثل أصل الفن البربري، و لا يستبعد أن تكون هناك استمرارية للفن القفصي من خلال الميل الفطري إلى الديكور الهندسي الذي نراه اليوم عند الأمازيغ[3] .

4) النيوليتي ذو الأصول القفصية في الصحراء الكبرى:

إن القسم الجغرافي الذي غطاها النيوليتي ذو التقاليد القفصية واسع إذ يمتد من تونس إلى غاية المحيط الأطلسي غرباً ليمتد نحو الجوب حتى وسط الصحراء الكبرى : نتيجة هجرة

---

[1]– جراية محمد رشيدي، المرجع، ص 108 .
[2]– جراية محمد رشيدي، المرجع السابق، ص 79 .
[3]– غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 78 .

إنسانية نحو الجنوب ، حتى غظت المنطقة ما بين شمال أدرار الإفوغاس و التاسيلي إلى غاية هضبة التيبسي شرقاً، ثم توغل أكثر جنوناً خاصة في منطقة التاسيلي على حساب المنطقة الخاضعة للنيوليتي ذو التقاليد السودانية[1] .

بالنسبة للصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث فإننا نجد أن الظروف الطبيعة كانت مساعدة على التنقل و التبادل الحضاري، فالأنهار كانت تخترق الصحراء الكبرى رابطة بين المناطق الشمالية و الجنوبية، و لم تكن هناك الحواجز الطبيعية المتمثلة في الكثبان الرملية و لعل هذا يفسر لنا لماذا كانت الصحراء الكبرى و خاصة الصحراء الوسطي محل اجتذاب للكثير من الجماعات البشرية: الزنوج، القفصين...[2] .

لقد ورث هؤلاء الذين استقروا في الصحراء عن أجدادهم القفصين عدة مواهب : كنحت حجر الصوان، كما عرفوا فن الصيد لإتقانهم صناعة العديد من الأسلحة كحدود السهام و الفؤوس المصقولة، كما نجد أيضاً أن الإنسان كان يعرف كيف يصقل القطع الحجر الصلبة و يضع منها كرات مستديرة و تماثيل صغيرة ، مثل بقرة السلت و كبش تمنيت و غزالة إيمكاسن، إلاً أن الفخار يعتبر أقل ثراء من حيث الأشكال و التزويقات مقارنة مع الفخار عند ذوي التقاليد السودانية، وهذا لا يعني أن الصناع كانوا محدودي الخيال بل العكس، وهو ما من خلال نقش و تزويق بيض النعام الذي يصنعون منه أواني و دُرُرًا عديدة[3].

و إذا أردنا تسطير الحدود الجغرافية التي ذو التقاليد القفصية علينا رسم خط يبين مناطق اختفاء الفخار ذو القاع المخروطي و الرسم على قشور بيض النعام[4].

---

[1]- جراية محمد رشيدي، المرجع السابق ، ص 80 .

[2]– Souville George. Camps(Gabriel), Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara. In : Revue de l'Occident musulman et de la méditerranée .n°20,1975.pp.179-181.

[3]– هـ.ج. هوجو، المرجع السابق، ص 591 .

[4]– جراية محمد رشيد، المرجع السابق، ص 117.

إن توغل النيوليتي ذو التقاليد القفصية في الصحراء على حساب المناطق الخاضعة لنفوذ النيوليتي ذو التقاليد السودانية جعل هذا الأخير يتراجع نفوذه لحساب الأول وهذا يفسره عثور علماء الآثار على أدوات النيوليتي القفصي[1] في الطبقات العلياً بينما يعثر على الآثار المادية للنيوليتي السوداني في الطبقات الوسطى و السفلى[2].

كما ذهب العديد من الباحثين و من بنهم مليكة حشيد و غابريال كامبس إلى القول بأن القفصيين الذين و صلوا إلى الصحراء كانوا مسؤوليين عن جانب مهم من الفن الصخري، و على سبيل المثال نذكر أن بعض مواقع الحضارة القفصية الواقعة جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي وجدت قربها مواقع للفن الصخري و هو ما يدل على وجود علاقة بين القفصين و الفن الصخري[3] .

أما الفترة الزمنية التي غطاها النيوليتي ذو التقاليد القفصية في الصحراء نجد أن تمتد من الألف السادسة حتى الألف الثانية ق. م[4] .

المبحث الثالث: تاريخ الغرامنت من خلال الفن الصخري

1) الفن الصخري في الصحراء الكبرى:

نحن نعلم أن الصحراء الإفريقية الكبرى تحتوي على أكبير المحطات الفنية الصخرية في العالم، حيث يمكن للمرء أن يتابع عبر أكثر من 15 ألف رسم و منحوتة صخرية مختلفة التقلبات المناخية و الجماعات الإثنية المختلفة التي استوطنت الصحراء الكبرى، كما يمكن متابعة تطور الحياة البشرية في غياهب الصحراء: فالفن الصخري يمدنا بمعلومات عن

1- انظر الملحق رقم 3، ص79.

2- جراية محمد رشيد، المرجع السابق ،ص 118 .

3- لخضر بن بوزيد،المرجع السابق،ص 123 .

4- جراية محمد رشدي، المرجع السابق، ص 120 .

النمط المعيشي القائم و عن طرق و أساليب الصيد الرعي و الحيوانات التي استأنسها الإنسان و الحيوانات البرية الأخرى، والظواهر الثقافية المختلفة كطرق اللباس و الحياة اليومية و أيضاً عن المفاهيم الدينية السائدة[1] ، فشعوب المنطقة استعملت الرسم الصخري كوسيلة للتواصل و التعبير عن هواجسهم و أفكارهم حيث رسموا عشرات الآلاف من اللوحات أصبحت تعتبر مصدراً خاماً للدراسات الأثرية[2] ، خصوصاً و أننا نعلم أن الجفاف و إنعدام الرطوبة و فراغ المنطقة من السكان كانا عاملان أساسيان لحفظ و بقاء هذه النقوش و الرسومات الصخرية، والتي قامت منظمة اليونسكو بتصنيفها ضمن التراث العالمي سنة1982[3]. لقد قام علماء الآثار، من بينهم هنري لوت، و فابريزيو موري ، و الفرد موزوليني و مليكة حشيد ، بتقسيم الفن الصخري زمنياً إلى خمسة مراحل،[4] معتمدين في ذلك على عدة معابير: حيوانية، مناخية، إنسانية و أسلوبية و كل مرحلة تتميز بأسلوب معين يعكس الوضع الطبيعي و المناخي السائد و أيضاً الجماعات البشرية التي استقرت في الصحراء خلال تلك تلك الفترة ، و النمط المعيشي القائم[5].

أ) مرحلة الحيرم القديم و المرحلة الطبيعية: (La période naturaliste des chasseurs): و تتميز رسومات تلك الفترة بكونها ذات جودة فنية كبيرة جدً حيث تظهر مختلف الحيوانات التي ربما حاول الإنسان تأهيلها فنجد: وحيد القرن و الفيالة و الزرافة و

---

[1]– M.Cornevin : Les néolithiques du Sahara central et l'histoir général de l'Afrique, In Bulletin de la société préhistorique française.1982 tome 79.N.10-12.pp 439-450

[2]– أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسومات الصخرية و الآثار المصرية " ، المصدر: Copyright,2015,C.R.A.S.C

[3]- M.Cornevin, op.cit, pp 439-450.

[4]- انظر الملحق4، ص 80.

[5]– لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 176 .

النعام و الأسد و حمار الوحش و حتى التمساح و السمك و الطيور المائية، وتتميز أيضاً بكونها أقدم النقوش الصخرية، حيث تعود بدايتها ربما حتى تسعة ألاف سنة ق.م[1] .

ب) مرحلة الرؤوس المستديرة: (la période des têtes rondes) : يتميز أسلوب هذه المرحلة بعدد من الخصائص هي : كونه يقتصر على الرسومات التي يصور معظمها بمساحات لونية موحدة و بتقنية الدارة و يتراوح أسلوبها من المبسط إلى الطبيعي، وتتميز رؤوس الأشكال البشرية بكونها على هيئة قرص أو دائرة ذات مسطحات و نادراً ما يظهر عليها الحواس[2]. ولقد اختلف علماء الآثار في تحديد الفترة الزمنية لمرحلة الرؤوس المستديرة فالباحث فابريزيو موري حددها بين 8000 ق.م إلى 4500 ق.م أما الباحث إمانويل أناتي فقد حصرها بين 7000 ق.م ، إلى 5000 ق. م، و أما هنري لوت فقد حصرها بين 6000 إلى 5000 ق.م، و سبب الاختلاف بين الباحثين يعود إلى قلة تواريخ الراديو كربون للرسومات الصخرية نظراً لقلة الرسوم التي تحتوي على المواد العضوية[3].

ج) مرحلة البـقري: (La période bovidienne): يتميز أسلوب هذه المرحلة بأشكال بشرية و حيوانية طبيعية صغيرة الحجم في غالب الأحيان، و تتمتع بحركية و تنظيم في مشاهد متنوعة من الحياة اليومية، و قد استعمل هذا للأسلوب تقنية المساحة اللونية الموحدة و الخط باللون الأحمر و الأصفر و الأبيض و يعتبر البقر الشعل الأكثر تصويراً بقرون متنوعة الألوان و الأشكال كما صورت بنسبة أقل قطعان الماعز و الغنم و العديد من الحيوانات البرية كالفيل و الكركدن و فرس النهر و الزرافة و الظبي و ألسد و الغزال و النعام و حتى السمك[4] .

---

[1]– بحرة نادية، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة أدمر (التاسيلي– أزجر–الصحراء الوسطى– الجزائر) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار(غير منشورة)، جامعة الجزائر 2005–2006، ص 29 .

[2]– نفسه، ص 34.

[3]– لخضر بن بوزيد، المرجع السابق،ص 33 .

[4]– نادية بحرة، المرجع السابق، ص 33.

لقد قسم الباحث و عالم الآثار هنري لوت رسومات أسلوب البقري إلى مرحلتين و كل مرحلة تتميز بأسلوب معين فنجد: الأسلوب الكلاسيكي الذي يصور رعاًة البقر من الجنس الأسود و أيضاً الفولاني (Peuls)، و الأسلوب القديم الذي يصور رعاة الماعز و الغنم من الجنس الأبيض و حسب هنري لوت فإن الأسلوب القديم الذي يصور رعاة الماعز و الغنم من الجنس الأبيض يمثل مرحلة متأخرة، أما الفترة الزمنية لمرحلة البقري فعي تمتد من الألف الرابعة إلى الألف الثانية ق.م[1].

<u>د) مرحلة العربات و الأحصنة: (La période cabaline)</u>: يصف غابريال كامبس هذا الأسلوب بالمبسط فهو يصور الأشخاص يلبسون سترات مخصرة، و يضعون الريش على رؤوسهم و يتمثل سلاحهم في الرمح، كما يصور الخيول و العربات و مشاهد الحياة اليومية و حيوانات لأخرى كالبقر و الماعز و الغنم و الزرافة و الكلب[2] ، ولقد قسمت هذه المرحلة من طرف الباحث هنري لوت إلى مرحلتين: مرحلة العربات التي تصور الأحصنة على نمط الركض الطائر (galop volant) كما تصور سترات الأشخاص على شكل جرس، و مرحلة الحصان المركوب التي تصور الأشخاص على شكل مثلثين[3] .

<u>ن) مرحلة الجمال: (La période caméline)</u>: وتمثل أخر مرحلة للفن الصخري، و تعرف بظهور الجمال على الرسومات و النقوش الصخرية، و تتميز رسومات هذه المرحلة بكونها الأكثر تبسيطاً و يصور فيها الأشخاص على شكل مثلثين متقابلين، أما الزرائب فهي دائرية أو مستطيلة الشكل، و تستعمل تقنية المساحة اللونية الحمراء و البيضاء تماماً مثل أسلوب المرحلة السابقة (الحصان)[4]

[1]– نادية بحرة، المرجع السابق، ص 36.

[2]– نفسه، ص 96.

[3]– نفسه، ص 37.

[4]– نفسه، ص 38.

ويقسم موزوليني هذه المرحلة إلى مرحلتين فرعيتين هما: مرحلة الجمال القديمة و أسلوب هذه المرحلة لا يختلف عن أسلوب مرحلة الحصان و يصعب التميز بينهما عند غياب صورة الجمل، و مرحلة الجمال الحديثة و تتميز برسوماتها الجد مبسطة و الهندسية الشكل و تصور الفرسان و الأشخاص على شكل مثلثين متقابلين إلى جانب الحيوانات الأخرى كالبقر و الماعز و الأروي و خاصة الجمل[1].

2) الغرامنت من خلال هذه الرسومات و النقوش الصخرية:

نلاحظ أنه في الفترة التي توافق في الفن الصخري الطور أو المرحلة المسماة "البقري" "Bovidienne"، التي تمتد من الألف الرابعة إلى الألف الثانية ق.م وقع تغير ملحوظ في السكان : فلقد ظهرت أقوام جديدة من الجنس الأبيض أو الجنس المتوسطي، فالمجموعات السكانية التي لهم ملامح متوسطة نراها في الفن الصخري يبدو فيها الرجال ذو شعور طويلة و لحي رقيقة، و تظهر وجوه النساء و الرجال قد اكتست رسوماً و أوشاماً، و الرجال الذين يلبسون التنانير يزيدون إليها قبعات أحياناً، بينما النساء تجدها ترتدي أثواباً توحي زخارفها بأنها من نسيج، كما تبدو النساء في بعض المناسبات قد تزين على صور باذخة و ارتدين تنانير ذات حواش و أوشحة طويلة الأطراف و إذا أقبلن على الأشغال المنزلية ثبتن لباسهن عند مستوى العجيزة[2].

إن هذه الرسوم تقدم لنا صور واضحة لأوائل السكان المتوسطيين الذين توغلوا في الصحراء، و يبدو من خلال الفن الصخري أنهم اشتغلوا بتربية الماشية الصغيرة و فاقوا فيها ذوي البشرة السوداء وهذا ما يبرر لنا الاعتقاد بأنهم و صلوا إلى الصحراء في أواخر الفترة

[1]– نادية بحرة، المرجع السابق، ص 97 .
[2]- غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 96 .

الأسلوبية لدى البقريين[1] و التي تمثل المرحلة الأخيرة من الرطبة و بداية الجفاف في الصحراء[2].

ازدادت الأهمية الديمغرافية و الاجتماعية للأقوام المتوسطة خلال فترة العصر الخيلي أو عصر الأحصنة و سمية تلك الفترة بـ: "الأحصنة" نسبة إلى الأقوام التي تقوم بتربية الخيول و تصويرها على الصخور و الأحجار، و يمكن التعرف على الفن الذي أنجزه الخيليون بفضل أسلوبهم المميز: فهيئة الحيوانات و حركات الأشخاص شديدة الخشونة و في بعض الأحيان نجد وجوه الأشخاص غير مبينة و يستدل علها بأعوادٍ أو ألواح، أما الخيول نجدها مرسومة في حالة عدو طائر شدت إليها عربات خفيفة و غالباً ما تكون بحصانين، أما في منطقة فزان فنجد العربات رسمت و هي تجرها أربعة خيول، و هؤلاء الخيليون نجدهم يتسلحون بالحراب و الرماح، و الرجال نجدهم يلبسون تنانير أو جلابيب قصيرة تنتهي عند منتصف الفخذ، و أما النساء نجدها من خلال بعض الرسومات يرتدين تنانير قصيرة[3] .

كما يفهم أيضاً من خلال هذه النقوش الصخرية أن الخليين سائقي العربات كانوا طائفة محاربة فرضت سيطرتها على أصحاب البشرة السوداء و نجد فيها بعد أن هؤلاء الآخرين لا يظهرون في الرسومات و النقوش الصخرية[4]، و هو أمر طبيعي فالعنصر المهيمن هو وحده الذي سيظهر في الفن الرسمي[5] .

إن جماعات قدماء البربر المتمثلة في: الرعاة المتعلقين بمرحلة البقري (période bovidienne) و المحدثين المتعلقين بمرحلة الحصان(la période cabaline) لهم بدون شك علاقة مع الغرامنت الذين تحدثت عنهم المصادر القديمة، حيث ذكرهم هيرودوت بأنهم

[1]- انظر الملحق رقم 5، ص 81.

[2]- غابريال كامبس، المرجع السابق ، ص 97 .

[3]– نفسه، ص 98.

[4]- انظر الملحق رقم 6، ص 82.

[5]– غابريال كامبس، المرجع السابق ، ص 98 .

قوم من الليبيين يسكنون في الصحراء (فزان) و يستعملون العربات التي تجرها أربعة خيول[1].

تجدر الإشارة إلى أن الباحثة مليكة حشيد قسمت مرحلة الأحصنة إلى مرحلتين فرعيتين، مرحلة الليبيين الصحراوين وهي الأقدم و يظهر فيها الرجل يلبسون عباءات و يضعون الريش على رؤوسهم أما الإناث يلبسن فساتين بحمالات، و قد رسم هؤلاء العربات و الخيول المركوبة ، و المرحلة الثانية أطلقت عليها تسمية : "مرحلة الغرامنت" حيث يطغى فيها اللون الأحمر، و الذكور يلبسون السترات على شكل جرس ، و تلبس الإناث فساتين طويلة بنفس الشكل وفي هذه الرسومات يتم تصوير الرؤوس على شكل عصى كما يتم رسم العربات و الخيول، و تكون الأشكال أكثر تبسيطاً[2] .

أما الفترة التي يطلق عليها مرحلة الجمل لا تختلف عن مرحلة الحصان إلاً في ظهور الجمل على النقوش الصخرية، فكلاً المرحلتين تمثلان فترة إعمار الصحراء من طرف السلالات البيضاء أو بتعبير أدق الليبيين[3] .

المبحث الرابع: الغرامنت من خلال النصوص القديمة

باعتبار الغرامنت من الشعوب الصحراوية البعيدة نسبياً عن عالم البحر الأبيض المتوسط، فإننا لكي نعرف مدى أهمية النصوص القديمة المتعلقة بالغرامنت علينا أن نعرف أولاً كيف عالج المؤرخون و الجغرافيون القدامى مسألة الصحراء و الأراضي الواقعة ما وراء الصحراء ، فالمؤرخون و الجغرافيون اليونانيون و الرومانيون كانت الصحراء بالنسبة إليهم تمثل أرضاً مجهولة (terra incognita) و نظراً لعدم قدرتهم على زيادة الأقاليم الصحراوية

1- A.Muzzolini, « A137.AKAKUS », Encyclopédie berbère,Ahaggar-Ali Ben Ghania, Aix-en-Provence, France p143

2- بحرة نادية، المرجع السابق، ص 37.

3- Henry Lhote, le peuplement du Sahara néolithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestre, journal de la société des Africaniste 1970.(40-2) : 91-102

بأنفسهم، اكتفوا بسرد المعلومات المتداولة و التي تحتوي على قدر كبير من الخطأ و الخرافة، فلم يتحدث المؤرخون الإغريق و الرومان إلاً عن ليبيا الداخلية و إثيوبيا[1] الداخلية و هما مصطلحان مبهمان يشيران إلى الأراضي الصحراوية و ماوراءها[2]

كما أنه في أغلب الأحيان نجد أن النصوص و المعلومات التي كتبها المؤرخون القدامى حول الغرامنت كتبت في إطار علاقتهم مع روما أو قرطاجة أو الإغريق. كما أنه هناك ملاحظة جديرة أن تأخذ بعين الاعتبار، وهي أن كل ما كتبه المؤرخون القدامى عن الصحراء و شعوبها يمثل وجهة نظرية إغريقية أو رومانية، أو بصفة عامة متوسطية (méditerranéenne) حول الصحراء و سكانها[3]، لذا نجد في كتاباتهم الأفكار و الأحكام المسبقة التي تقول بأن الحضارة و التحضر يغيبان تدريجيا كلما توغل المرء أكثر داخل الأرضي الإفريقية[4] .

لكن على رغم من ذلك فإن النصوص القديمة لا يمكن الإستغناء عنها كليا، خصوصاً وأن بعض المؤرخين مثل هيرودوت سجلوا معلومات قيمة عن سكان الصحراء و عاداتهم و نمط معيشتهم[5]. فيما يخص الغرامنت نجد أن هيرودوت أول من تحدث منهم، فبعد حديثه عن القبائل الليبية[6] على الحدود الجنوبية من طرابلس و برقة إلى غاية حديثه عن واحة "أوجيلة"[7]، ذكر الغرامنت حيث قال:" *على بعد عشرة أيام من أوجله في مكان به تل من الملح حوله مياه متدفقة و الكثير من أشجار النخيل المثمرة،يسكن هنا قوم يسمى*

1- أثيوبيا هو مصطلح أطلقه الإغريق و الرومان على الشعوب ذوي البشرة السوداء ، و هذه الكلمة في اللغة الإغريقية القديمة معناها: الوجوه المحترقة ، انظر : محمد عوض محمد، شعوب و سلالات إفريقيا .

2– ب. سلامة، المرجع السابق، ص 520.

3- انظر الملحق رقم 7، ص 83.

4– Mattingly David, Nouveau aperçus sur les garamantes : un Etat saharien ?. In : Antiquités africaines, 37,2001.pp.445-461

5– ب. سلامة، المرجع السابق، ص 521 .

6- هيرودوت استخدم مصطلح الليبيين للإشارة الى كل سكان شمال إفريقيا و نفس الشيء بالنسبة إلى المصادر المصرية القديمة .

3- واحة أوجيلة تحدث عنها المؤرخون القدامى و تحدث عنها المصادر الإسلامية أيضا ، تقع على بعد 250 كلم جنوب قورينائية تتميز باحتوائها على الكثير من الآبار و أشجار النخيل ، ذكر هيرودوت أن قبائل النسامونس الليبية في الصيف يتركون قطعانهم قرب ساحل البحر و يأتون إلى أوجيلة لقطف التمور و هو ما يدل على أن منطقتهم تضم مجالين : الساحل و الأراضي الداخلية و منها واحة أوجيلة، انظر مصطفي اعشي: أحاديث هيرودوت عن الليبيين، ص 61 .

الغرامنتيون وهم شعب كثير العدد، و الغرامنت يقومون بوضع التربة على الملح ثم يزرعونها، و لديهم ثيراناً تمشي مدبرة عند رعيها لأن قرونها التي تطول نحو الأسفل تعيق سيرها نحو الأمام و هي الصفة الوحيدة التي تميزها عن باقي الأبقار إضافة إلى السمك الغليظ لجلدها، و يطارد الغرامنتيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة الإثيوبيين التروجلودت« troglodytes » الذين يسكنون الكهوف، و الإثيوبيين الذين يطاردهم الغرامنت يتميزون ب الجري السريع و لا يضاهيهم احد في هذه الميزة و غذائهم هو الأفاعي و السحالي و الزواحف الأخرى و كلامهم لا يشبه كلام الشعوب الأخرى، فهو قريب من زعيق الخفاش أو الوطواط " [1].

هذا هو النص الوحيد الذي كتبه هيرودوت عن الغرامنت ومنه نستنتج أن الغرامنت كانوا كثير العدد مقارنة مع القبائل الليبية الأخرى، و موطنهم يبعد عن أوجله بمسافة عشرة أيام نحو الغرب، و من هذا نستنتج أن الغرامنت يعيشون في فزان خلال القرن الخامس ق.م وكان نشاطهم الاقتصادي يعتمد على الزراعة و الرعي، و الغرامنت من مستخدمي العربات التي تجرها أربع خيول لمطاردة الأثيوبيين سكان الكهوف كما يمكن أن نستنتج من هذا الكلام أن الغرامنت كانوا يمثلون فئة محاربة و كانوا يسترقون أقواماً آخرين أقل منهم في مدارج الحضارة و كانوا بالضرورة يسيطرون على منطقة واسعة من الصحراء الوسطى و علىالطرق الصحراوية التي تربط بين شمال إفريقيا والأرضي الإفريقية ما وراء الصحراء.

إذا أتيا إلى المؤرخون و الجغرافيون الآخرون نجد أنهم لم يكتبوا عن الغرامنت إلا شذرات و معلومات قليلة جداً، فهذا سترابون (Strabon) ذكر أن أرض الغرامنت" (*la Garamantide) هي الأرض الواقعة بين بلاد الجيتول في الشمال و بلاد الإثيوبيين في الجنوب، و هي الأرض التي يؤتى منها بالحجر القرطاجي*" المسمى أيضا العقيق الأحمر و

[1]- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع،المجتمع الثقافي أبوظبي 2011،ص 264 .

هو نوع من الأحجار الكريمة، و عندما تحدث عن الليبيين بوجه عام و لم يستثني الغرامنت قال: " *الليبيون بوجه عام يرتدون نفس الثياب و يستخدمن الخيول الغيرة الحجم السريعة العدو، و يُلْبِسون خيولهم أطواقاً من خشي، أ شعر يثبت فيه اللجام و بعض هذه الخيول يتبع صاحبه من دون قيود كالكلاب، و الليبيون يستخدمون الرماح ذات الرؤوس العريضة و لهم دروع صغيرة مصنوعة من الجلد و يرتدون عباءات و يستعملون الجلود و الأوشحة و الدروع* "[1] .

ذكر أيضاً أن "*الغرامنت يقومون بتربية الخيول، و كانوا يقومون بحفل كل سنة يحضره الملك ليشاهد تعشير الخيول التي تلد سنوياً حوالي ألف مهر* "[2].

أما المؤرخ الروماني بليني (Pline l'ancien) ذكر أن:"*وطن الغرامنت يبعد عن أوجلة ب 12 يوماً و أن بلدتهم تدعى" ثلكاي"، و فيه يوجد نبغ يغلي ماءه من شدة الحرارة في النهار، و في الليل يكون لبرد قاس*"، كما تحدث أيضاً عن الغرامنت في إطار علاقتهم مع الرومان حيث ذكر أن البروقنصل والي إفريقيا المدعو كورنيلوس بالبوس، قام بحملة عسكرية ضد مملكة الغرامنت و على طول طريق الحملة ذكر أسماء لمواقع ومدن معروفة مثل قفصة capsa، cydamus غدامس و جرمة(Garama) و أما كن أخرى غير معروفة، و كان ذلك سنة19 ق.م[3]

خلال القرن الأول بعد الميلاد ذكر الجغرافي الإغريقي مارينوس الصوري أن الحاكم الروماني سبتيموس فلاكوس قام بجملة عسكرية انطلاقا من ليبيا و وصل إلى بلاد الإثيوبيين مروراً ببلاد الغرامنت و كان ذلك في الفترة مابين(10-20)م[4] .

1- Strabon, Géographie, XVII,3

2- Ibid.

3- Pline l'ancien, Histoire naturelle, V

4 - Ptolémée, Géographie mathématique de Ptolémée trad M.L'abbé HALAMA, EBERHART, imprimerie Du collège Royal de France, Paris 1828, p84

أما المؤرخ اليوناني كلوديوس بطليموس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد ذكر أن الحاكم الروماني في إفريقيا المدعو يوليوس ما تيرنوس قام بحملة نحو بلاد الإثيوبيين حيث انطلق من لبدة الكبرى (leptis magna) حيث مر بجرمة بصحبة ملك الغرامنت الذي كان يهاجم الإثيوبيين و وصل حتى منطقة أجسمبا وهي أرض إثيوبية تزخر بالكركدن لكن هذه الرواية شكك فيها بعض المؤرخين، كما ذكر أيضاً أن جرمة عاصمة الغرامنت كانت ضمن الحواضر الكبرى في عصره[1].

ومن المعروف أيضاً أن بطليموس كان جغرافيا و رياضياً، فقد حاول وضع خطوط الطول و دوائر العرض صحيحة لكل الأماكن ففيها يخص (فزان) ذكر أسماء لمدن: جْلانوس، فانياس و ساباي و بوتا، و جرمة و طليمثة، و بدريروم، و بعضها غرامنتية دون شك، و على الرغم من أنه لا يبين ما يخص الغرامنت من هذه المدن، إلاً أن هناك من الباحثين من قال أن ساباي هي سبها و فانياس هي بونجيم، كما نجد أيضاً أن بطليموس يشير مرتين إلى كلمة « فرانكس » الغرامنتية و نعم أن كلمة فرانكس باللغة اللاتينية تعنى الحلق أو الأخدود أو الممر ولذا يبدو أن كلمة فرانكس هي أقرب ما تكون للدلالة على وادي الآجال الضيق المحصور بين صحراء أوباري في شمال و الهضبة الصخرية في الجنوب[2].

إذا أتينا إلى المؤرخ الروماني تيت ليف نجده يصنف الغرامنت في قائمة الشعوب الهمجية الذين كانوا يشكلون خطراً على الإمبراطورية الرومانية بسبب هجماتهم المتكررة على المدن الرومانية[3].

و عموماً فإن الصورة التي قدمها المؤرخون القدامى عن الغرامنت هي تلك التي تقول أنهم إحدى القبائل أو الشعوب التي تعيش على البداوة و لا يحكمها قانون أو نظام، حتى

1- Ibid, p84

2- تشالز دانيلز، الجرمنتون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني طرابلس- ليبيا 1991، ص 22 .

3- Mattingly David, op.cit ,pp 445-461

الزراعة التي طالماً اعتبرها المؤرخون القدامى إحدى معايير و شروط الحضارة نجد أنهم يشيروا إلى حقيقة وجود زراعة صحراوية، (باستثناء ما كتبة هيرودوت) ونحن نعم الآن ان هذه الصورة التي قدمها المؤرخون الإغريق و الرومان مخالفة للواقع وأيضاً متناقصة و المعطيات الأركيولوجية[1].

المبحث الخامس: الأبحاث الأثرية حول الغرامنت و أهميتها

إن أول الاكتشافات الأثرية الحديثة المتعلقة بالغرامنت هو قام به المستكشف و الرحالة الاسكتلندي و ولتر آويني الذي لاحظ وجود المباني و القبور في منطقة وادي الآجال، إلاً أن الاكتشافات الأثرية المهمة قامت بها أفراد البعثة الجغرافية الإيطالية في نواحي مختلفة من فزان و ذلك في الفترة ما بين (1930-1935)، حيث قاموا بعدة حفريات في جرمة بوادي الآجال و وجدوا فيها مقبرة تحتوي على أكثر من 60 ألف قبر، و عند دراسة هذه الآثار استنتج علماء الآثار الإيطاليون و من بينهم، سيرجي، وكابتو، وبيس وجود علاقات وروابط ثقافية مباشرة بين الغرامنت وشعب الطوارق الذي يسكن الصحراء الوسطى حالياً، كما استنتجوا وجود بعض الزنوج أو المميزات الزنجية التي تعود إلى الفترة الرومانية، إلاً أنه هناك باحثين آخرين انتقدوا هذه الآراء[2].

كما قامت البعثة الفرنسية التابعة لمهد البحوث التونسية بزيارة فزان و قامت بعدة حفريات في وادي الآجال سنة 1939 و كانت البعثة برئاسة الدكتور بيير بلير Pierre Bellair، وأصدرت البعثة عدة تقارير حول نتائج التي توصلت إليها[3].

1- Ibid, pp 445-461

2- عبد الرحمان بن عطيا الله، المدن و التمدن في الصحراء الكبرى قديماً،دراسة حالة شعب الغرامنت، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران 2014، ص18

3- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص18

و من أهم الأعمال الأثرية أيضاً ما قامت به مصلحة الآثار الليبية بفزان بقيادة الدكتور محمد سليمان أيوب، حيث قدم هذا الأخير دراسة نشرت في مصنفة عنوانها: (ليبيا في التاريخ) صدرت في بنغازي عند كلية الآداب بجامعة بنغازي[1] .

ولعل من أهم الدراسات الأثرية أيضاً ما قام به المؤرخ و عالم الآثار الإنجليزي تشالز دانيلز سنة 1959 حيث زار ليبيا و توجه نحو فزان لدراسة أثار الغرامنت و أمضي عدة أسابيع في دراسة أثار وادي الآجال، كما قام بإجراء حفريات في جرمة بدعوة من إدارة الآثار الليبية، و قام أيضا عام 1967 بعدة حفريات في وادي الآجال و زنككرة و جرمة و سانية جبريل وفي مناطق أخرى[2] .

أما الأخر الأبحاث الأثرية هو ما قام به مؤخراً مجموعة من علماء الآثار البريطانيين بقيادة البروفيسور دافيد ما تجلي حيث استفاد هذا الأخير في أبحاثه من استخدام صور الأقمار الصناعية، حيث وصف أخر الاكتشافات التي توصل إليها بـ: « الغير العادية و المذهلة » و نشر نتائج أبحاثه الميدانية في مصنفة عنوانها: The Archeolopgy of (Fezzan):أركيولوجيا فزان[3].

لقد أثبت هذه الأبحاث الأثرية من تلك التي قام بها الإيطاليون إلى غاية دافيد ما تنجلي عن وجود كيان سياسي قائم بحد ذاته، المعروف بمملكة الغرامنت حيث عرفت التطور السياسي الذي عرفته الشعوب الأخرى في تلك الفترة، حيث حدد دافيد ماتنجلي مساحتها بأكثر من 300 ألف كلم مربع، و أثبت أيضا أن عاصمتهم جرمة التي تقع في منطقة وادي الآجال كانت تقع في منتصف طرق القوافل العابرة للصحراء، كما أثبتت هذه

1- مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (489/487-425 ق.م)، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2009م .

2- تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 3.

3- Mattingly, op.cit, pp445-460

الأبحاث أيضا أن هذه المملكة عرفت تطور في جميع الميادين، في الزراعة و العمران و الاقتصاد و التجارة[1]، و يمكن القول أن اغلب المعلومات التي لدينا حول الغرامنت مصدرها الأبحاث الأثرية، كما استنتج علماء الآثار أن للغرامنت علاقات مع غيرهم من الشعوب كالقرطاجيين و الرومان و غيرهم، كما أثبتت أيضا أن الحضارة و التمدن في الصحراء الكبرى كان سابقا على العهد الروماني، حيث كانت مدينة جرمة و زنككرة مزدهرتان منذ العهد القرطاجي[2].

[1]- عبد الرحمان بن عطيا الله، المرجع السابق، ص 45
[2]- Mattingly, op.cit, pp445-460.

الفصل الثّاني

الفصل الثاني: المظاهر الحضارية للغرامنت:

المبحث الأول: التنظيم السياسي و الاجتماعي

1) – التنظيم السياسي:

أ) – نظام الحكم : وفق المصادر القديمة فان الغرامنت كانوا يحكمهم ملوك و هو ما ذكره كل من سترابون و بطليموس لكن هذه المصادر لم تقدم لنا تفاصيل عن نظام الحكم السائد أو كيف كان يتم توريث الحكم أو ما هي الميادين التي لا يتدخل فيها الملك[1]، لكن يمكن لنا أن نستنتج أن ملك الغرامنت كان رئيسا للدولة و قائدا للجيش و المشرف على السلطة التنفيذية و الكاهن الأعلى في البلاد، و يبدو أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم حكاما ليس في الحياة الدنيا فقط بل حتى في الآخرة و نلاحظ أيضا أنهم أقاموا مقابرهم في مكان مرتفع من الوادي ليمكنهم ذلك من الإشراف على رعاياهم الذين أقيمت مقابرهم في بطن الوادي[2] .

كانت قبور النساء التي تفوق عدد قبور الرجال بالجبانة الملكية دليل على انه كان لكل ملك عدد لاباس به من النساء و هي عادة مألوفة في أكثر ممالك العالم القديم، وكان الملك أيضا يملك اكبر القوافل التجارية و كان يسكن القلعة أو القصر و كان يجمع بين السلطتين ، الدينية و الدنيوية .[3]

ب) – حكام الأقاليم :

كما كان هناك الأمراء و الحكام المحليون ، أو حكام الأقاليم الذين كانوا يستمدون سلطتهم من الملك مباشرة و كان حاكم الإقليم نائبا للملك و كان عليه أن يقوم بدفع الضرائب للملك ، و يمده بالمقاتلين في وقت الحرب ، و كان لكل حاكم منهم قصر يقيم فيه

---

[1]– J.Desange, « Garamantes », In 19 filage / gastel, Aix-en-Provence, Edisud (volume n 19), 1988, p.2969-2971.

[2]– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 158 .

[3]– نفسه، ص 155 .

و جبانة خاص به حيث يدفن فيها بعد موته هو و أفراد أسرته و بعض هذه الجبانات كانت من الفخامة و العظمة تشبه الجبانة الملكية[1] .

لم يكن هؤلاء الأمراء مجرد حكام للأقاليم بل كانوا يمتلكون أيضا البيوت التجارية التي كانت تمتلك القوافل التي تعبر الصحراء و كانت هذه التجارة مصدر ثراء لهؤلاء الحكام حيث أقاموا قصورا في قلب الصحراء بنفس مستوى قصور أغنياء روما في عالم البحر المتوسط، و يبدوا أن الضرائب المفروضة على القوافل التجارية كان جزء منها يذهب إلى الخزينة المركزية و الجزء الآخر يحتفظ به حكام الأقاليم لأنفسهم[2] ، و هذا ما جعل الباحثين يستنتجون إن النظام السياسي عند الغرامنت كان يشبه إلى حد بعيد النظام الملكي الذي يتكون من اتحاد عدة قبائل يتربع على قمته الأكليذ(Aguellid) كما هو الشأن في الممالك التي ظهرت في شمال إفريقيا كمملكتي الماسيل و المازيسيل[3].

ج) – الجيش :الغرامنت وفق المصادر الأثرية و التاريخية يمثلون فئة محاربة استطاعت أن تفرض سيطرتها على القبائل القريبة و على الطرق التجارية الواقعة في أراضيها و هذا نظرا لوجود جيش قوي يتكون من المشاة و الفرسان الذين يمتطون العربات أو صهوات الخيول، و يبد و انه كان في جيشهم فرقة كوما دو التي كانت تقوم بقطع الطرق و ردم الآبار، و قطع المسالك على العدو، و خير دليل على قوته هو مجابهته للجيش الروماني عدة مرات و إما سلاحهم كان يتمثل في السيوف و الرماح و الدروع،[4] و في الواقع هذا الأمر لا يتعلق فقط بالجيش الغرامنتي فحتى المؤرخ سترابون يصرح آن الخيول و الدروع و الرماح كانت إحدى المميزات الأساسية التي تميز المقاتلين الغرامنت و الجيتول و كل الليبيين عموما [5]

---

[1]- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 161 .

[2]- نفسه، ص 162 .

[3]– ب. سلامة، المرجع السابق، ص 528 .

[4]- عبد اللطيف محمود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، الجزء الرابع، تامغناست للنشر ،دط ، د ت ن ، ص 227 .

[5]- Strabon,‹XVII,, Géographie 3

2) التنظيم الاجتماعي

أ) تركيبة السكان: في ما يخص السكان أو المجتمع فان الحفريات التي علماء الآثار في جرمه و غيرها من الأماكن في وادي الآجال تبين أن المجتمع تميز بالتعدد الاثني فنجد الليبيون ذو الملامح المتوسطية و كانوا يمثلون الطبقة أو الفئة المهيمنة و هم الذين نراهم في الفن الصخري يتسلحون بالخراب و الرماح و يلبسون تنانير أو جلابيب قصيرة و كانوا يسوقون العربات التي تجرها الخيول، كما نجد أيضا الزنوج أو أصحاب البشرة السوداء ووفقا لما ذهب إليه غابريال كامبس و العديد من الباحثين فان هذه الفئة يمثلون أجداد الذين أصبحوا يعرفون فيما بعد بالحراثين[1]، و إذا أردنا أن نفهم أصولهم علينا ربط الموضوع بالتغيرات المناخية التي عرفتها الصحراء الكبرى و المتمثلة في تحولها الى ارض قاحلة، فنحن نعلم أن التصحر و جفاف الصحراء قام بدفع الجماعات البشرية الزنجية التي كانت تسكن الصحراء منذ العصر الحجري الحديث إلى الهجرة نحو المناطق المعروفة اليوم باسم الساحل أو غرب إفريقيا، أما الجماعات التي بقيت في الصحراء فقد قضت الظروف السياسية و المناخية عليها بالانحصار في الواحات وأصبحوا تحت سيطرة الليبيين الصحراويين،[2] ولقد خضع هؤلاء لعمليات تهجين عديدة فصاروا يتمايزون عن المجموعات الأخرى من ذوي البشرة السوداء، و حتى الأبحاث الأثرية التي قام بها كل من سيرجي و كابيتو اثبتت أن الجماجم التي عثر عليها في مقابر الغرامنت، كانت حوالي 46 بالمائة منها لها ملامح متوسطية و حوالي 26 بالمائة من الجماجم الأخرى تنتمي إلى السلالات الزنجية أما النسبة المتبقية أي حوالي 26 بالمائة تمثل المرحلة الوسطى بين المجموعتين،[3] و من

2- يسمون في لغة الطوارق (التماشق) بـ"إزقاغن" معناها الحمر ، هم طائفة ذو أصول إفريقية، لكنهم تهجنوا بنسبة معينة مع مرور الوقت ، وهذه الطائفة وقعت تحت سيطرة الليبيين من غرا منت و جيتول و طوارق و حتى عرب بنو هلال فيما بعد، فأصبحوا مستعبدين إلى غاية الفترة المعاصرة ، انظر: G . Camps, sur les origines des cultivateurs noirs dans le Sahara

[2]- غابريال كامبس، المرجع السابق، ص101 .

[3]- G . Camps, les garamantes, op.cit p 2

هذه المعطيات نستنتج حصول اختلاط بين الجنس المتوسطي و الأجناس الإفريقية و هذه الملاحظة نجدها أيضا عند الباحثين الذين درسوا الفن الصخري[1].

ب) الفئات الاجتماعية:

كان المجتمع الغرامنتي يتكون من الفئات التالية:الملك و حاشيته ثم طبقة الأمراءأو حكام الأقاليم، و هؤلاء يمثلون الطبقة المهنية سياسيا، كما نجد السكان أو عامة الشعب و هم بدورهم منقسمين إلى فئتين: فئة الحضر الذين يسكنون المدن مثل جرمة و الواحات حيث توجد الأسواق التجارية و الأراضي الزراعية حيث تتوفر سبل الحياة المستقرة،و كان يحيط بهذه الواحات سور أو قلاع للدفاع عنها، و نجد أيضا البدو الذين ينتقلون بماشيتهم من مكان إلى أخر وراء الكلأ[2] وهناك طبقة ثالثة وهي طبقة الأرقاءأو العبيد و هم الذين وقعوا تحت سيطرة الغرامنت أو الذين استرقوهم عن طريق الخطف أو الحرب [3].

كان السكان العاديون من عامة الشعب يمارسون مختلف الأعمال و المهن و الحرف فمنهم رجال القوافل و منهم المزارعون و الصناع و الصيادين، و أفراد هذه الطبقة (عامة الشعب) لم تكن حياتهم حياة رفاهية و لكنهم لم يكونوا فقراء فقرا مدقعا، و إنما كانوا طبقة متوسطة عادية، أما العبيد كانوا يقومون بعدة أعمال في المدن و في القصور و أيضا في المزارع و الحقول و غيرها من الخدمات الأخرى و لا نعلم بالتحديد هل كانوا موظفين في الجيش أم لا[4].

المبحث الثاني : الاقتصاد

1) الزراعة :

1- تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص46 .

2- محمد سليمان أيوب ، المرجع السابق ص 159 .

3- عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 226 .

4 - نفسه، ص 227 .

<u>أ) المنتوج الزراعي</u>: يعتبر هيرودوت المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى أن الغرامنت كانوا يمارسون النشاط الزراعي، فعندما تحدث عنهم قال بأنهم يعيشون في مكان به الكثير من المياه المتدفقة و الكثير من أشجار النخيل المثمرة،[1] و فعلا يعتبر وادي الآجال الذي يقع في وسط إقليم فران من أكثر الأماكن غنا بالمياه الجوفية و نجد أن المياه تخرج تلقائيا على شكل عيون و هو ما يفسر وجود العديد من الواحات ،[2] و تبرز معرفة الغرامنت بتقنيات الزراعة في تمكنهم من التغلب على ملوحة الأرض و ذلك بنشر طبقة من التربة مما يؤكد قدم ممارستهم للزراعة [3].

لقد دلت الحفريات على وجود زراعة مزدهرة إلى درجة أن الباحث و عالم الآثار دافيد ماتنجلي تحدث عن وجود زراعة ذات نطاقات واسعة (l'agriculture intensive)حيث انتعشت نتيجة للأوضاع المستقرة ، كما أن مساحة الأراضي المزروعة كانت واسعة فلقد دلت الحفريات و حبوب اللقاح و المواد الأخرى التي اكتشفت أثناء عمليات التنقيب على وجود أنواع كثيرة من النباتات، وعلى وجود الكثير من المحاصيل الزراعية كالقمح و الشعير التمور،[4]و الحبوب و بعض الخضروات كالبصل و أيضا التين و اللوز و الرمان و الزيتون و القطن و محاصيل أخرى كالذرة و النيلة التي كانت تستعمل للصباغة[5].

<u>ب) نظام الري و سقي الأراضي</u>: نعلم الآن انطلاقا من الحفريات التي قام بها علماء الآثار أن النشاط الزراعي ما كان ليتطور لولا وجود نظام لسقي الأراضي الزراعية، كما نعلم أيضا انطلاقا من المعطيات الأثرية أن التقنيات المستخدمة في العهد الروماني في الواحات الصحراوية كواحة قابس و غدامس، و المتمثلة في تقنيات توزيع المياه و تنظيم أوقات سقي الأراضي، كانت قد عرفتها الجماعات و

1- هيرودوت، المصدر السابق، ص 364.
2- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص11.
3- هيرودوت، المصدر السابق، ص 364.
4- David Mattingly , op.cit , pp 45-61
5- محمد سلميان أيوب، المرجع السابق، ص219 .

القبائل الليبية – البربرية التي كانت تقطن قرب الساقيات و مجاري المياه و الواحات،[1] و الغرامنت عرفوا ما يسمى بـ: الفقارة (foggara)، و المتمثلة في نظام نقل المياه من مصادرها (العيون) إلى الأراضي الزراعية تحت الأرض عبر قنوات حيث يتم حفر أبار يصل عمقها إلى 20 متر على طول المسافة الواقعة بين مصادر المياه و الأراضي الزراعية وهذا لتسهل صيانة و إصلاح هذه القنوات، و يعتبر نظام الفقارة السبب الرئيسي لتطور الزراعة التي تعتبر احد الأسباب الرئيسية لقوة و نجاح الغرامنت.[2]

كما أقام الغرامنت أيضا في القمة الشمالية للحمادة الحمراء مزارع مدرجة على منحدراتها و أحاطوها بجدار طويل أقيمت فيه مصارف للتحكم في توزيع مياه المطر المتجمعة أمامه و استغلالها في سقي الأراضي.[3]

2) الرعي و تربية الحيوانات :

لم يقتصر الغرامنت في حياتهم المعيشية على الزراعة، بل مارسوا حرفة الرعي و اهتموا بتربية الماشية و الاستفادة منها في التغذية و الصناعات الجلدية، و تشتهر منطقتهم ذات الطبيعة الرعوية بوجود مساحات واسعة تشتغل للرعي، و نجد أنهم اشتغلوا بتربية الماشية الصغيرة (الماعز و الغنم) فالحفريات التي قام بها تشالز دانيلز في جرمة و زنككرة كشفت عن وجود بقايا عظام الحيوانات خاصة الماعز و الغنم،[4]وهناك دليل أخرى يثبت اهتمام الغرامنت بتربية الماشية الصغيرة و هو الفن الصخري،[5] كما اهتموا أيضا بتربية الأبقار و هو ما ذكره هيرودوت و سترابون و لكن الغرابة تتمثل في الوصف الذي خصه بها هيرودوت إذ كيف يمكن أن نجد أبقار تمشي مدبرة لان قرونها التي تطول نحو الأسفل تعيق سيرها إلى الأمام و البعض اعتبر ذلك مجرد خرافة، إلا أن وجود ورسوم صخرية بعدة مواقع

---

[1]– Trousset Pol . Les oasis présahariennes dans l'antiquité partage de l'eau et division du temps. In : Antiquité africaines, 22,1986. pp.163-193 .

[2]– D.Mattingly.op.cit.pp45-61

[3]– تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 24 ,

[4]– David Mattingly, op.cit,pp.445-461

[5]– نادية بحرة، المرجع السابق، ص 36.

مثل موقع جبارين ، ووادي درباوين بالتاسيلي يظهر فيها الأبقار و الثيران بقرون تتجه نحو الأسفل مما يعيد إلى الأذهان ما كتبه هيرودوت، و يبدو أن الثور الذي يسير نحو الخلف كان فعلا موجودا في شمال إفريقيا كثور متوحش ذي حجم كبير وجدت عظامه في مواقع ما قبل تاريخية و لا نعرف حاليا أي نوع من الأبقار يتسم بهذه الميزة[1].

كما اهتم الغرامنت أيضا بتربية الخيول و هو ما ذكره المؤرخون القدامى خاصة سترابون الذي قال بان الغرامنت يقيمون حفلا كل سنة يحضره الملك ليشاهد تعيشر الخيول التي تلد حوالي 1000 مهر[2].

إن انتشار الحصان في شمال إفريقيا ظاهرة سابقة على غزو الهكسوس لمصر وهو أمر كشفت عنه أعمال التنقيب التي أجريت في بلاد النوبة، و لقد دخل هذا الحصان إلى شمال إفريقيا عبر مصر ابتداء من القرن 16 ق.م، و من هذا الحصان نجد نوعان : **الدنجولا** و هو النوع الذي نجده في مصر و السودان ، و الحصان الأخر هو المعروف **بالحصان البربري** و يتميز هذا الحصان بان عدد فقرات عنقه خمسة بخلاف سائر الحيوانات التي تكون عندها ستة و رأسه كبيرة و محدبة الجانب و كفله قصير و ضامر و منبت الذيل واطئ، وهذا الحصان معروف بقدرته على تحمل الجوع و العطش و تأمين السير في الأراضي الجبلية ، و في الواقع إن استعمال هذا الحصان لم يكن حكرًا على الغرامنت بل استعملته كل القبائل و الشعوب الليبية – البربرية على مر العصور[3].

لقد استعمل الغرامنت هذا الحصان للتنقل ونقل السلع و البضائع وأيضا لقطع المسافات الكبيرة عبر الصحراء، و نجد أيضا أن نصوص المؤرخون القدامى يحدثوننا عن استعمال الغرامنت للعربات التي تجرها الخيول، فهذه العربة شديدة الخفة و مزودة بعجلتين و لقد

---

[1]- مصطفى اعشي، المرجع السابق، ص63.

[2]- Strabon, Géographie , xv ,3

[3]- غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 102 .

احتفظت النقوش الصخرية بعدد هام من صور هذه العربات، و الطريقة الصحراوية في شد الخيول إلى العربة طريقة في غاية الفرادة و هي تختلف عن الطريقتين المصرية و الإغريقية : فالدواب ليس لها أكاليل و لا تشدها ألباب و عريشة العربة مثبتة إلى النير المشدود إلى الرأس أو مثبتة إلى قضيب عرضاني يمر من تحت رقبة الحصان[1].

المبحث الثالث: الحياة الثقافية

1)العمران

يشير الباحث غابريال كامبس إلى أن أصل كلمة الغرامنت و منها اشتق الاسم جرمة يعني: سكان المنازل لان في اللغة الليبية القديمة التي خرجت منها اللهجات الامازيغية الحالية نجد أن الجذر اغاغام أو Arharam أو Aram يدل على الدار[2] و منها على ما يبدو جاء الاسم ايغرمت أو تيغرمت لذا نجد أن الأطلال الكثيرة التي يحتويها وادي الآجال يؤيد صحة هذه الفرضية [3].

أ) العمران قبل تأسيس جرمة : لقد دلت الحفريات أن أقدم مكان استقر فيه الغرامنت لم يكن في جرمة عاصمتهم المشهورة و إنما كان ذلك في جبل زنككرة الذي يقع في الحمادة الحمراء شمال وادي الآجال و يبدو أن الغرامنت استقروا في هذه المنطقة طول الألف الأولى فبل الميلاد إلى غاية تأسيس جرمة،[4]ففي هذا المكان أقاموا بيوتا صغيرة و كونوا مزارع مدرجة على منحدرات الجبل و أحاطوها بجدار و كانت بيوتهم تتكون من غرف صغيرة مبنية بآجر الطين و بالآجر الأحمر كما استعملوا روث البقر لطلاء جدرانها و مصاطبها و

1– غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 103 .

2- انظر الملحق رقم 8 ص 84.

3– G.Camp, op.cit, p 2.

4– P. Trousset, (garama), Encyclopédie berbère, 19/filage– gastel, Aix – en – Provence, Edisud, 1988, p. 2964–2969.

هذه المنازل محاطة بأسوار بنيت لغرض حبس المواشي، و لعل هذا المستوى من العمران يمثل مرحلة متطورة نسبيا لان مساكن الغرامنت في البداية لم يكن سوى أكواخا أو خياما صنعت من جلود الحيوانات، و تأتي مرحلة النهضة العمرانية بعد قيام جرمة القديمة[1].

ب) **بعد تأسيس جرمة** : تسمية الغرامنت هي نفسها تسمية عاصمتهم و التي تقع بعد 80 كلم من الشمال الغربي لمرزوق و فيها تقع المدينة الأثرية القديمة على بعد كيلومترين فقط من جرمة الحالية و تبعد بحوالي 170 كم عن الطريق الذي يربط مدينة بمدينة غات بمدينة سبها ، و أما موقعها الفلكي فنجد أنها تقع بين خطي طول 13 – 14 درجة شرقا و بين دائرتي عرض 30–26 شمالا[2] و لا نعرف بالضبط متى تأسست جرمة فكل ما هو مؤكد هو أنها كانت موجودة خلال القرن الأول قبل الميلاد[3].

بعد سقوط سيرتا عاصمة نوميديا انتقل البناءون و التجار و أرباب الحرف إلى مملكة الغرامنت فازدهرت جرمة، و تعتبر أثار المنازل المبنية بقوالب من اللبن خير مثال لأقدم المساكن بجرمة، و أما النموذج الذي يعبر عن مرحلة التطور العمراني هي البيوت المربعة الشكل، طول ضلع كل واحد حوالي 13 متر، و هو مبني على أساس من الأحجار المتماسكة بملاط يعلوها صف من كتل الأحجار الكبيرة المستطيلة و المنتظمة، و هذا الصف ناتئ قليلا عن الصفوف التي تعلوه و التي تتكون من صفين متوازيين من كتل الأحجار المنتظمة ، و بينهما فراغ تم ملئه بالتراب و الأحجار و البيت مقسم إلى عدة غرف بعضها مسقوف و بعضها غير مسقوف و تظهر على جدران المنزل أثار الطلاء بالحصي كما تم العثور على بعض قطع الحصى الملونة على أرضية المنزل و تم العثور في هذا النوع من البيوت على قطع كثيرة من تيجان الأعمدة و التيجان الدورية و الأبونية و

---

[1]– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 174.

[2]– عبد الرحمان بن عطياالله ، المرجع السابق ، ص 35 .

[3] - تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 53.

تم العثور أيضا على عدد كبير من الأفاريز و أجزاء من السقف مما يشير إلى أن سقف هذا المبنى كان شبيها بسقف المباني الإغريقية و ربما أيضا كان معبدا صغيرا أو جزء من معبد كبير[1] .

و من مظاهر العمران التي كشفت عنها الحفريات أيضا هو أنه في مدينة جرمة بالإضافة إلى هذه المباني نجد نوع أخر من البيوت مختلف قليلا عن هذا النوع الثاني و هي البيوت التي تتكون من عدة غرف و جدرانها تطلى ببلاط من الجير أو الجبس الملون، كما كشفت الحفريات أيضا أن مدينة جرمة كانت تتمتع بإمدادات مياه جيدة و بنظام ممتاز من المجاري المائية، و كانت بها حمامات و أسواق و ربما حتى الملاعب و المسارح، و كانت شوارعها تظلها الأشجار[2] و كانت المدينة محاطة بالبساتين التي تضفي علها رداءا من الخضرة [3].

ج) <u>المقابر الغرامنتية</u>: يمكن لنا أن نميز ثلاثة أنواع من المقابر في فزان و هي كلها من انجاز الغرامنت و هي : المقابر المستديرة الشكل ، و المقابر المربعة الشكل، و أخرى هرمية الشكل،[4] فالقبور المستديرة الصغيرة كان الميت فيها يدفن على هيئة الجنين في بطن أمه ، كما نجد أيضا الجبانة الملكية بجرمة التي تعتبر أقدم نموذج للقبور الفاخرة بفزان[5]، ففي هذه الجبانة بنيت القبور المربعة الشكل بدرجتين أو مصطبتين تعلو إحداهما الأخرى و غرفة الدفن في عمق مناسب و نجد انه حتى الأمراء و حكام الأقاليم كانوا يقلدون الأسرة الملكية في طريقة الدفن و في اتخاذ هذا النوع من المدافن، و المقابر التي تحتوي على هذا

---

[1]- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 175.

[2]- انظر الملحق رقم 9، ص 85.

[3]- محمد سلمان أيوب ، المرجع السابق، ص 176.

[4]- F . EL – Rashdy, les pratiques funéraire des garamantes et leurs relation avec celles d’autre peuples d’Afrique du nord ,libya antiqua ,(Unesco), paris 1988, p 31.

[5]- انظر الملحق رقم 10، ص86.

النوع من المدافن هي : مقبرة تاجلت ، و الرجة، و التناخمة و كلها موجودة في واد الآجال[1].

كما نجد أيضا القبور الهرمية الشكل المبنية بالطين ، و توجد في فزان عدة أنواع من هذه الجبانات، و تعتبر جبانة الحطية التي تبعد بحوالي 35 كم غرب جرمة اكبر هذه الجبانات و البناء عبارة عن هرم مبني بقوالب اللبن و يرتفع على الأرض ما بين مترين إلى خمسة أمتار و غرفة الدفن موجودة تحت الهرم و لا نعرف حتى الآن تاريخ هذه الأهرام أو من كان يدفن فيها بالتحديد[2].

كما نجد أيضا ضريح قصر وطوط الرومانتيكي و يعتبر المثال الوحيد للتأثير الروماني في الصحراء[3] و لكن الحفريات اثبتت أن هذه الضريح هو الوحيد الذي بقي من بين خمسة أضرحة أخرى على الأقل و تقع كلها بجوار جرمة،[4] أما الأضرحة الأربعة الأخرى فقد سرقت الأبنية من فوقها و لم يبقى منها إلا الدرج و هو الجزء المركزي من المنصة[5].

2)الحرف و الصناعات المحلية :

لقد دلت الحفريات على انه كانت تقوم في جرمة العديد ، من الصناعات المحلية مثل صناعة الحلي الذهبية و الفضة و صناعة الاغواش و الأساور و الأقراط من حجر الأمازون الذي سماه الرومان بالعقيق الأحمر، و أيضا صناعة النسيج و الصناعات الحديدية[6] ، و بعض الصناعات الأولية المتعلقة بالحاجيات الضرورية كالملبس و المأكل و

---

[1]– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 176.

[2]– تشالز دانيلز، المرجع السابق ، ص 77 .

[3]- انظر الملحق رقم11، ص 87.

[4]– تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 78.

[5]- محمد سلمان أيوب ، المرجع السابق، ص 176.

[6]– نفسه، ص 176.

بعض الأسلحة و الأواني المصنوعة من الخشب ، كما لاحظ علماء الآثار أيضا استمرارا لبعض التقاليد النيوليتية كنحت و صقل الحجارة و صناعة الأواني و الحلي باستخدام قشور بيض النعام[1].

3) العادات و التقاليد :

أ) المرأة و المجتمع: إن الحديث عن عادات الغرامنت الاجتماعية يذكرنا بما رواه المؤرخون القدامى عندما يتحدثون عن الاختلاط و الاتصال الجنسي الغير الشرعي بين القبائل الإفريقية، وهذا ما ذكره المؤرخ بليني (Pline) عندما قال بان الغرامنت لا يتزوجون و إنما كانوا يعاشرون نساءهم مختلطين، ولقد انتقد العديد من المؤرخين هذه الآراء على أساس أن المؤرخين الإغريق و الرومان معتادين على الزواج بامرأة واحدة و لم يستوعبوا نظام تعدد الزوجات السائد بين القبائل الليبية، و هو أمر مختلف كليا عن الاتصال الجنسي الغير الشرعي, أو ما سماه البعض ب: المشاعة الجنسية أو المشاعة البدائية أي أن كل شيء كان مشاعاً و غير محرم خاصة العلاقات الجنسية [2]، كما أن بعض المؤرخون القدامى في بعض الأحيان لا يميزون بين طقوس الزواج التي كانت تقوم بها القبائل الإفريقية عموماً و بين المشاعة الجنسية، و هناك مصدر أخر يشير إلى وجود نظام تعدد الزوجات بين الليبيين و هو المخطوطات المصرية و ما أجاب به البربر القائد البيزنطي " سليمان" عندما هدد الرهائن الموريتانية التي كان يحتجزها حيث قالوا له: "إننا نحن الذين إذا رغبنا في أكثر من زوجة لا نخشى إهمال أطفالنا"،[3] و نلاحظ أيضاً أن كثرة قبور النساء و تفوقها على عدد قبور الرجال بالجبانة الملكية وما تحتويه تلك المقابر الفخمة التي أقيمت لهن من الحلي و الأدوات الأخرى خير دليل على مكانة المرأة و أن مكانتها كانت متساوية لمكانة الرجل، و يمكن القول أيضا أن عبادة الغرامنت للإلهة تانيت باعتبارها زعيمة الآلهة

---

[1]- David Mattingly, op.cit. pp . 445-461 .

[2]- تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 46 .

[3]- نفسه، ص 46 .

يثبت أن المرأة كانت لها مكانة رفيعة في المجتمع،[1] لقد كانت النساء يقمن بالأعمال المنزلية المتنوعة و أيضاً الخدمة في الحقول وغيرها من الأعمال التي لا تتطلب جهداً كبيرً، أما الأعمال الشاقة كالزراعة و الرعي و الحروب و التجارة مع الشعوب المجاورة كان يقوم بها الرجال[2].

<u>ب) اللباس و الزينة</u> : ليس هناك ما يجعلنا نعتقد أن اللباس عند الغرامنت يختلف عن اللباس عند القبائل الليبية الأخرى و هو ما صرح به سترابون حيث قال بان الليبيون بوجه عام يلبسون الثياب نفسها ، فالغرامنت كانوا يلبسون الثياب الخفيفة ، و كان الرجال ذوي المكانة الخاصة يرتدون الثياب الطويلة المفتوحة من الأمام و المثبتة على الكتفين و ثيابهم مصنوعة من جلود الحيوانات ثم أصبحت فيما بعد تصنع من القماش المثبت بأشرطة ذهبية حيث وجدت أجزاء و قطع من هذه الملابس في مقابر الغرامنت، و في بعض الأحيان يلبسون عباءات فضفاضة، و يلبسون تحت الثوب سترة قصيرة مثبتة عند الخصر و تمتد إلى الركبة و غالبا ما يصنعون على أكتافهم و صدورهم أشرطة متقاطعة[3]

أما النساء فالثوب الشائع عندهن هو ما يشبه التنورة الطويلة المتدلية من الخصر إلى تحت الركبة ، كما عرف الغرامنت أيضا عادة الوشم و هذه الاوشام تظهر بوضح على أسفل و أعلى الذراع و على أسفل الساق، و يبدو أيضا أن الوشم كان أكثر من يقوم به هم الرجال و الزعماء من رؤساء القبائل[4]، و هناك أيضا عادة تصفيف الشعر و يبدو أن هذه العادة كانت منتشرة أيضا بين القبائل الليبية الأخرى حيث يبدو الرجال بلحاهم الصغيرة المحدبة و شعورهم الممشطة إلى الخلف و من المظاهر الأخرى أيضا وضع ريش النعام على الشعر[5] و تجد الإشارة إلى أن الآثار المصرية و الفن الصخري يؤكدان أن هذه الطريقة

---

[1]- تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 56.

[2]- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 156.

[3]- تشالز دانيلز ، المرجع السابق ، ص 46.

[4]- انظر الملحق رقم 12، ص88.

[5]- تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص 47.

في اللباس و في الوشم و وضع ريش النعام على الرأس كانت من مميزات الحياة الثقافية عند الليبيين الصحراويين عموما [1] .

ج) <u>الفن</u> : لقد خلفت لنا الصحراء سجلا حافلا من النقوش و الرسوم الصخرية تجسد مظاهر الحية اليومية، و الفن الغرامنتي عرف مرحلتين : المرحلة الأولى و تتميز رسوماتها بكونها رديئة نوعا ما مقارنة مع رسومات الفن الصخري التي تعود إلى الفترات السابقة (مثل فن عصر الرعاة) إلا أن الفن الغرامنتي تطور فيما بعد حيث تمكنوا من التعبير عن التجسيم باستعمال الألوان ثم بدأو يعبرون عن الحركة و هذا ما نلاحظه من إحدى لوحات الرسوم الملونة و التي تجسد منظر عربة يجرها زوج من الخيول و هي تنطلق هاربة من صاحبها و هو يحاول اللحاق بها و في يده سوط، و تقف على العربة فتاة و هي تحاول كبح جماح الجواد الهائج و قد بلغ تصوير الأشخاص حد الروعة ، و من خلال مقارنة و دراسة الإشكال يمكن لنا التعرف على الصور التي رسمت في تلك الفترة ، فمثلا اللوحة 140 من كتاب (Tadrart Acacus) للدكتور فابريزيو موري تمثل ودانا منطلقا و خلفه كلاب الصيد فهذه اللوحة رسمت في عصر النهضة الفنية[2] .

كما نجد أيضا المنحوتة على لوح حجري في مدخل مغارة تاماجرت بالطاسيلي و هي عبارة عن عربة صغيرة ترتكز على عجلتين و لها عمود جر طويل و يُرى القائد في وضع يكاد يجعله متكئا على ظهر الخيل و في يده الأعنة و رحمان : انه غرا منتي يطارد بعض الأثيوبيين[3].

---

[1]– أم الخير العقون ، المرجع السابق.

[2]– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، صص 165 –167.

[3]– غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة و تحقيق الدكتور العربي عقون ، ط 1 ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الابيار – الجزائر، ص 31 .

و المعتقد أيضا أن الغرامنت لم يكونوا نحاتين إذ لم يكتشف في جرمة أو في غيرها من الأماكن إلا على تمثالا واحدا لرجل يلبس رداء صنع من الحجر الرملي ، هذا ان استثنينا نحت و صقل الحجارة و التي هي من رواسب الثقافة النيوليتية أو ما قبل تاريخية و التي اندثرت مع مرور الوقت[1].

4) الحياة الفكرية و العقائدية : يبدو أن المجتمع الغرامنتي كان مجتمع ذو ثقافة شفوية و لم يهتموا بتسجيل و تدوين ثقافتهم و تاريخهم على الرغم من استعمالهم في بعض الأحيان للكتابة الليبية (التيفناغ) وفق ما ذهب إليه عالم الآثار دافيد ماتنجلي[2]، و لم يصل إلينا أي شيء عن آدابهم أو قصصهم أو أسماء ملوكهم ما عدا أسطورة واحدة تقول أن احد ملوك جرمة الذي انتزع منه عرشه استعان بعدد من الكلاب المسعورة لاسترجاع عرشه[3].

أ) الديانة عند الغرامنت: تجدر الإشارة إلى أن اسم الغرامنت يتكون من كلمتين غر أو جر و آمون و هنا نحن أمام فرضية أخرى تفسر أصل تسمية الغرامنت حيث انه مرتبط بالرب أو الإله آمون الذي كان اله ليبي قبل أن يكون مصريا ، و هنا أيضا نجد أن قبائل النسامونس الليبية الذين قال عنهم هيرودوت بأنهم جيران الغرامنت و أبناء عمومتهم يتكون اسمهم من كلمتين ناس أو اناس و آمون و معناها في اللغة الليبية القديمة : " قال

1- David Mattingly, op. cit, pp445-460

2- Ibid, pp445-460.

3 – محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 168 .

آمون" ، و هذا ما جعل الكثير من الباحثين يعتقدون أن كلا القبيلتين : الغرامنت و النسامونس كانوا يعبدون الإله آمون حيث كان يستشيره التجار و رجال القوافل ليهديهم و يرشدهم في الصحراء إلى اماكن المياه.[1]

كما عبدوا أيضا الإلهة تانيت الليبية التي كانوا يرون فيها سيدة الصحراء و هادية القوافل بالليل و النهار و مفجرة العيون و المرشدة إلى أماكن المياه و نحن نعرف أيضا أن عبادة الأسلاف كانت شائعة بين القبائل الليبية و الإفريقية عموما و لقد روي هيرودوت و بومبينيوس أن الليبيين كانوا يستطلعون الغيب عن طريق الاتصال بأرواح الأجداد حيث يقوم الفرد بالاغتسال ثم ينام على قبر جد معين من الأجداد فإذا رأى شيئا في المنام يعتبر ذلك أحداث تقع في المستقبل[2] .

<u>ب) الطقوس الجنائزية</u> : إن القبور المستديرة الشكل تمثل أقدم أنواع القبور المكتشفة في فزان حيث وجد علماء الآثار أن الميت كان يدفن في هذه القبور على هيئة الجنين في بطن أمه و تم العثور أيضا على فخاريات و أدوات الزينة المصنوعة من الحجارة و العظام، كما تم العثور أيضا في وادي الآجال على قبور تحتوي على موائد القرابين حيث كانت توضع على الجانب الشرقي من القبر، كما تم العثور على حالتين من حالات حرق الموتى قرب ضريح جرمة حية ثم العثور على رماد لرجل و امرأة داخل قارورتين و هذا النوع من القارورات كانت تضع في اليونان و هي مستطيلة الشكل و عنقها ضيق[3].

أما بالنسبة للمقبرة الملكية الشهيرة بجرمة و التي يسميها كابيتو" النصب التذكارية لمدينة الموتى "[4]، فان النصب التذكارية المدرجة فيها كلها مبنية بالحجارة الغير المصقولة

---

[1]- مصطفى اعشي، المرجع السابق، ص 63.

[2]- عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق، ص227 .

[3]- تشالز دانيلز ، المرجع السابق، ص 52 .

[4]- انظر الملحق رقم 13، ص89.

وضعت فيها موائد التضحيات و الأيدي على منصات منخفضة مقابلة لأوجهها الشرقية،[1] و لقد حرص الغرامنت على وضع شواهد ذات شكل معين على القبور، حيث كانت توضع للناحية الشرقية المقابلة لمشرق الشمس أو للناحية الغربية المقابلة لمغربها و بعض هذه الشواهد شكلها يشبه المسلة و ارتفاعها لا يزيد عن مترين و كانت تصنع منه الحجر الرملي المحلي، و البعض الأخر نجدها على شكل قرنين آو على شكل الكف و لقد تم العثور على شواهد مشابهة لما في مقابر القرطاجيين في تونس، و فقا لما ذهب اليه الباحث محمد سليمان أيوب، فان الشواهد التي هي على شكل قرنين كانت تمثل الهلال و هي إحدى رموز الإلهة تانيت ، و أما الكف فهو أيضا رمز من رموز تانيت المقدسة [2].

إن احتواء قبور الغرامنت على الألوان و أدوات الزينة يدل على أنهم كانوا يؤمنون بوجود حياة بعد الموت ، أي عقيدة الخلود و عدم عثور علماء الآثار على الأدوات الحربية في قبورهم دليل على أن تصورهم لعالم ما بعد الموت هو عالم السلام لا حرب فيه و أن الإلهة تسيطر عليه[3].

---

[1]- تشالز دانيلز ، المرجع السابق ، ص 42 .

[2]- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 179.

[3]- نفسه، ص 181.

الفصل الثّالث

الفصل الثالث : علاقة الغرامنت بالشعوب الأخرى

المبحث الأول :الموقع الإستراتيجي لجرمة ودور ذلك في التجارة الصحراوية

1) الطرق التجارية الصحراوية خلال العصر القديم :

نحن نعلم أن الصحراء الكبرى لم تكن حاجزا للاتصال والتواصل بين شمالها وجنوبها وبين شرقها (مصر) وغربها (المحيط الأطلسي) ، فخلال العصر الحجري الحديث عندما كانت الصحراء قد عرفت مرحلة الرطوبة والأمطار كانت الأنهار الكبرى تربط بين شمالها وجنوبها[1]، وحتى بعد جفافها وتحولها إلى أراضي قاحلة نجد أن ذلك لم يمنع الإنسان على اجتياز هذه العقبة عن طريق السفر والتنقل سواء للتجارة أو لأشياء أخرى . [(2)]

منذ القديم لاحظ الإنسان أن أنسب مكان لعبور الصحراء هي الطرق التي تربط بين المدن الساحلية الليبية الواقعة على سواحل السرت الكبرى والتي تمر عبر فزان إلى غاية بلوغها منطقة النيجر والتشاد وكان ذلك لعدة أسباب منها: أن الرصيف البحري كان يدخل لأقصى مداه لداخل القارة مما يقصر المسافة التي تفصل بين سواحل البحر المتوسط والأراضي الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء ، وربما طبيعة التضاريس المتمثلة في الأراضي والهضاب الصخرية كانت تجعل حركات دواب القوافل سهلة مما ساعد على تنشيط حركة التنقل و السفر وهذا قبل ظهور الجمل في الصحراء الكبرى ، كما أنى وجود العديد من الواحات والآبار سهل أكثر من عملية السفر والتنقل حيث كانت هذه الواحات أماكن للاستراحة والتزود بالمؤونة والماء. [(3)]

---

[1]- Souville George. Camps (Gabriel) : Les civilisations préhistoriques de l’Afrique du nord et du Sahara. In : revue de l’occident musulman et de la méditerrané, n 20, 1975.pp179.181

(2) – محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 199.

(3) – نفسه ، ص 200.

ونجد أيضا أن العثور على العديد من النقوش والرسومات الصخرية في الصحراء الغربية جعل الباحث رايمون موني يستنتج وجود طريق قديم للعربات يربط بين المغرب الأقصى ومنطقة نهر النيجر في غرب إفريقيا ، وهذا الطريق دليل على وجود علاقات بين عالم البربر في الشمال وقبائل الماندينغ التي تسكن في غرب إفريقيا منذ القدم.[1]

وإذا أتينا إلى هيرودوت نجده يتحدث عن الطريق الذي يربط بين واحة سيوة المصرية إلى غاية جبال الأطلس حيث ذكر أنه بعد عشرة أيام مشيا من الآمونيين (نسبة إلى معبد الإله أمون) يصل المرء إلى واحة أوجيلة التي تأتي إليها قبائل النسامونس لجني الثمار بعد أن يتركوا قطعانهم على ساحل البحر المتوسط ، وبعد عشرة أيام من أوجيلة نحو الغرب يصل المرء إلى موطن الغرامنت (وادي الآجال) ، وعلى مسافة عشرة أيام أخرى من بلاد الغرامنت نصل إلى بلاد الأطرانط وهم قبائل ليبية أخرى ذكرها هيرودوت، وعلى مسافة عشرة أيام أخرى من بلاد الأطرانط نصل إلى مكان به جبل يدعى الأطلس : ولقد ذهب العديد من الباحثين إلى القول بأن الأطلس الذي يتحدث عند هيرودوت هي جبال الأطلس الواقعة بالمغرب الأقصى[2] .

وإذا أتينا إلى جرمة نجد أنها تقع في وسط الطرق التجارية[3] ، وأشهر طرق القوافل التيكانت تربط الساحل الليبي بجرمة هي :

1_ طريق صبراته – غدامس – صحراء أوباري – جرمة.

2- طريق أويا – غريان – أوباري – جرمة وقد اشتهر باسم طريق اللوتس.

3- طريق لبدة الكبرى – غرزة – شوارف – براك – سبها – جرمة

4- طريق سرت – ودان –هون – سبها – جرمة

وأما أشهر الطرق التي تربط بين جرمة والنيجر والتشاد هي:

---

[1]- R.et M.Cornevin, op.cit, p7

[2]- مصطفى أعشي، المرجع السابق، ص 65.

[3]- أنظر الملحق رقم 13، ص89 .

1_ جرمة – زويلة – كفرة – الإينيدي (التشاد حاليا) – مورو في السودان.

2_ جرما قطرون – فايا – التشاد.

3- جرمة – قصر مارا – الكوار (نهر النيجر)[1].

بالإضافة إلى الطريق الذي تحدث عنه هيرودوت والذي يبدأ من مصر إلى غاية المحيط الأطلسي ويتميز هذا الطريق بأن أماكن تواجد المياه فيه قريبة عن بعضها البعض[2].

تجدر الإشارة إلى أنه هناك مصدر أخر يدل على أن هذه الطرق موجودة منذ القدم وهو الفن الصخري فالرسومات والنقوش الصخرية التي عثر عليها في العديد من المواقع في فزان وجنوب الأطلس الصحراوي وفي الصحراء الغربية وموريتانيا ومالي والنيجر وبوركينافاسو وفي شرق ليبيا كلها تمثل نقاط التقاء وتوقف القوافل التجارية ، حيث تعطينا هذه المواقع خريطة واضحة للطرق التجارية الصحراوية الموجودة في تلك الفترة وما النقوش الصخرية إلا انعكاس لواقع اجتماعي و اقتصادي[3].

لقد كانت الصحراء بالنسبة للغرامنت تمثل مقام الساحل بالنسبة للقرطاجيين ، ولقد كانوا يقيمون حصون لحماية طرقهم التجارية و هذه الحصون كانت مسورة بسور مرتفع وفي وسط الحصن يوجد بئر للشرب، وتدل القبور الغرامنتية الموجودة حول هذه الحصون أنه كانت هناك حاميات مستقرة بهذه النواحي، والفائدة من هذه الحصون هي حماية طرق المواصلات وإيواء المسافرين والخيول والدواب الأخرى ومنحها الوقت الكافي للراحة واستبدالها بغيرها أثناء السفر، ولقد استقرت حول هذه الحصون بعض القبائل التي كانت تبيع وتشتري من القوافل المارة بعض احتياجاتها الأساسية وكانت شربة (CHARBA) التي تبعد عن مرزق بـ: 240 كلم إحدى هذه القلاع التي تحولت فيما بعد إلى مدينة صغيرة[4].

---

(1) – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق ، ص230.

(2) – نفسه ، ص230.

(3) – نفسه ، ص230.

(4) – محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 205.

2) التجارة الغرامنتية:

لقد ذهب دافيد ما تنجلي إلى القول بأن الزراعة التي كانت تعتمد بشكل كبير على نظام السقي المتمثل في نقل المياه عبر قنوات تحت الأرض من مصادر المياه إلى الأراضي الزراعية، والتجارة الخارجية كان يمثلان الأساس الذي قامت عليه حضارة الغرامنت[1].

وللأسف فإن المصادر الإغريقية والرومانية التي تتحدث عن التجارة الصحراوية أو المنتجات الصحراوية إلا إشارات قليلة جدا"، فنجد سترابون وبليني يذكرون العقيق الأحمر ولكن من الممكن أيضا" وجود تجارة الأحجار الكريمة الأخرى تسمى الأمازونيت التي عثر على رواسب منها في مرتفعات دوهون (DOHONE) شمال شرق تبستي ويمكن الاستنتاج أيضا أن صيد الحيوانات المتوحشة كان أحد المصادر الرئيسية للكسب والثراء في فزان علما بأن شمال إفريقيا في تلك الفترة كانت تعيش فيها الكثير من الحيوانات كالفهود والأسود والنعام [2].

إن التجارة الواسعة التي كان يقوم بها الغرامنت اقتضت منهم أن يعملوا نظاما دقيقا للمبادلة والمحاسبة ، ولازلنا نجهل الكثير عن الكيفية التي كانوا يتخذونها لعلاج هذه الأمور و من المحتمل أن يكون الغرامنت قد عرفوا نظام الضرائب حيث كانت هناك عدة مصادر لهذه الضرائب وأهمها الحيوانات والنخيل والملح وغيرها وكانت هناك أيضا" الضرائب المفروضة على القوافل التجارية الأخرى التي تمر بأراضيهم ويبدو أن جزء من هذه الضرائب يذهب إلى الخزينة المركزية والجزء الأخر يحتفظ به حكام الأقاليم ، وأما النظام المالي فليس لدينا الكثير من المعلومات عنه ولكن ما هو مؤكد هو أنه الغرامنت لم يسكوا

1- David Mattingly, op.cit, pp245.260.

2 - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص360.

عمله خاصة بهم بل كانوا يستعملون نظام المقايضة كمقايضة الملح بالذهب وفي بعض الأحيان كانوا يستعملون أصداف البحر بالإضافة إلى مواد أخرى.[1]

3) الحيوانات المستعملة في النقل:

أ) الثيران : من المحتمل أن تكون الثيران قد استعملت في قوافل الصحراء والتي لا تزال تستعمل حتى اليوم في دارفور بالسودان وقد عثر على نقوش تمثل ثيران بالسروج بالصحراء الكبرى وكانت تستخدم الثيران في النقل قبل عصور الجفاف بالصحراء[2].

2)الحمير: كانت الحمير تستعمل في تجارة القوافل العابرة للصحراء حيث توجد إشارات في النصوص المصرية تقول أن هذا الحيوان كان يستعمل في القوافل التي كانت تسير مسافات طويلة عبر الصحراء الكبرى ، و حتى هيرودوت يقول بأن الحمير كانت تستعمل لعبور الصحراء، ونرى في الكثير من النقوش الصخرية أن الحيوانات التي تجر العربات ليست كلها خيول، فعلى الرغم من عدم وضوح الرسومات إلا أنه تظهر بعض الحيوانات طويلة الأذن وقصيرة القامة ، بالإضافة إلى الخيول ، و من المؤكد أيضا أن العربات لم تكن تستعمل لغرض تجاري وإنما كانت وسيلة من وسائل النقل وفي البعض الأحيان كانت تستعمل في الحروب [3] .

3) الجمال: يذهب العديد من المؤرخين إلى القول بان الجمل دخل إلى شمال إفريقيا في عهد الإمبراطور الروماني ذو الأصول الليبية سبتيم سيفير (septime severe)

1- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص107.

2 - نفسه، صص208-209 .

3 - نفسه، ص210.

في بداية القرن الثالث بعد الميلاد و نجد في ما بعد أن الغرامنت قاموا باستيراده و نشره في كل أرجاء الصحراء الوسطى[1] .

المبحث الثاني: علاقة الغرامنت مع الشعوب الأخرى

1) علاقتهم مع الشعوب الإفريقية

أ) :مع الليبيين:

لقد اتسمت العلاقات بين الغرامنت والليبيين عموما بالاستقرار ، فلم تدل الكتابات على وجود نزاعات أو حروب بين الطرفين ، بل بالعكس فقد كان هناك في بعض الأحيان تعاون بينهما،فلقد اشتهر الغرامنت منذ القدم بروحهم الحربية والدليل على ذلك هو عمل المحاربين الغرامنت في صفوف ماسينيسا حيث ساندوه في استرداد عرشه من سيفاكس ، وقد أشار بعد المؤرخين القدامى أن الغرامنت كانوا يؤيدون ثورات المدن والقبائل الليبية ضد الرومان بل وأمدوهم بالجيوش المحاربة(2)، ويقول المؤرخ الروماني تاسيت بأن السبب الرئيسي وراء الصراع الروماني الغرامنتي يعود إلى دعم الغرامنت لثورة القائد الجيتولي تاكفاريناس في حربة ضد الرومان و هو الأمر الذي اعتبره الرومان تحديا مباشرا لسلطتهم من طرف الغرامنت، حيث قاموا بدعمه عسكريا عن طريق إرسال حملة من المشاة و الفرسان،(3) كما ذهب بعض الباحثين الآخرين إلى القول بأن مدن وموانى ساحل السرت عندما كانت تحت حكم نوميديا الموحدة كانت لها علاقات تجارية مع فزان(4).

---

3 - R. et M, Cornevin, histoire général de l'Afrique des origines a la 2^e guerre mondiale, 4 Ed, bibliothèque "Payot, paris 1964, p 109.

(2) - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص136.

(3) - عبد الرحمن بن عطية، المرجع السابق، ص36.

(4) - ب. سلامة، المرجع السابق، ص540.

ب) : مع الشعوب الإفريقية ما وراء الصحراء:

لقد لعب الغرامنت في تاريخ الصحراء الكبرى نفس دور الفينيقيين في تاريخ البحر المتوسط فكان لهم دور في تمدين الشعوب الإفريقية الموجودة إلى الجنوب منهم وذلك من خلال إدخال علوم ومعارف وصناعات العالم المتحضر إليهم كما كان لهم الفضل في تعريف كتاب الرومان وغيرهم بعالم إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.(1)

لقد كانت العلاقات الغرامنت والشعوب الإفريقية في معظمها علاقات تجارية ، حيث كانت تجارة الملح تدر ذهبا للغرامنت لأن الملح كانت مادة معدومة في بلاد السافانا الإفريقية وكانت هذه المادة تباع في أسواق النيجر بمثل حمولتها ذهبا : حمولة ذهب مقابل حمولة ملح، كما كان الغرامنت ينقلون إلى الأسواق الإفريقية أيضا سلع أخرى كالخزفيات و الزجاجيات و الملابس و الأدوات الحديدية و الحلي ، و كانت الأسواق الإفريقية تمد التجارة الغرامنتية بمختلف السلع والمواد الخام و أهمها جلود الحيوانات، العاج، بيض النعام، البخور، البهارات، الذهب والفضة،(2) كما كان الغرامنت بدورهم يقومون بنقل هذه السلع وبيعها في أسواق لبدة و أويا و صبراته .(3)

وبخصوص ما رواه هيرودوت عن مطاردة الغرامنت لمن سماهم بالإثيوبيين التروغلوديت حيث و صفهم بأنهم يتميزون بالجري السريع و أن كلامهم يشبه زعيق الخفاش، فلقد ذهب معظم الباحثين إلى القول بان هذا الشعب هو شعب التوبو الذي يسكن في إقليم التبستي بشمال التشاد منذ القدم و بالفعل فإن لغتهم مختلفة كليا عن اللغة الليبية

(1) – محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص208.

(2)– نفسه، ص216.

(3) – أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص66.

القديمة و اللغة المصرية القديمة و يبدوا أنهم كانوا ضحايا لغارات يقوم بها الغرامنت لاسترقاقهم[1].

2) علاقة الغرامنت مع حضارات البحر المتوسط

أ) مع القرطاجيين

نحن لا نعرف إلى أي فترة تعود بداية العلاقات بين القرطاجيين و الغرامنت فكل ما نملكه هي مجرد شذرات وردت في المصادر الرومانية والتي يظهر أنهم نقلوها عن القرطاجيين ، كما نعلم أيضا أن تدمير قرطاجة من طرف الرومان كان سببا في فقدان الكثير من الوثائق و المصادر التاريخية ، و تشير إحدى الكتب القديمة أن تاجرا فينيقيا يدعى " ماجو" Mago عبر الصحراء ثلاث مرات بتجارته مع قوافل الغرامنت ، كما لا يستعبد وجود جنود مرتزقة من الغرامنت في صفوف القائد حنبعل القرطاجي [2] .

ونحن نعلم أن الإمبراطورية القرطاجية في أوجها كانت تتحكم في كل سواحل شمال إفريقيا وشبه الجزيرة الإيبيرية، و كانت تسيطر على التجارة القائمة بين داخل القارة الإفريقية وعالم البحر المتوسط وهذا دليل على وجود تجارة مع الشعوب الصحراوية،[3] ولسوء الحظ فإن هذه التجارة لم تترك أدلة أثرية والمؤرخون القدامى ذكروا فقط العقيق الأحمر كأحد السلع التجارية الصحراوية وربما كانت هناك تجارة الرقيق فيقال أن الغرامنت كانوا يطاردون

(1) – محمد عوض محمد، شعوب و سلالات افريقية، سلسلة دراسات افريقية،الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، د ت ن ،ص 311 .

(2)– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص136.

(3) – نفسه، ص 137

الإثيوبي وهناك تجارة الجلود والعاج ، أما الذهب المستورد من السودان فمازال موضع جدل وشك [1].

لقد كان الفينيقيون تجارا مغامرين ومع ذلك فإنهم لها يظهروا أي رغبة في التوغل داخل الأراضي الإفريقية لأنهم كانوا يتمسكون بالبحر ولا يميلون إلى المغامرة بأنفسهم داخل الأراضي الصحراوية ، و إن الصرامة التي اتخذتها قرطاجة في إبعاد اليونان والرومان عن البلاد الواقعة غرب خليج السرت الكبير قد انعكست في قلة المعلومات التي أوردها المؤرخون القدامى عن التجارة الإفريقية لقرطاجة، وقد أفلح القرطاجيون في إخفاء أسرار تجارتهم إلى درجة كبيرة، وكل ما نعرفه على وجه اليقين هو أنهم كانوا يحصلون على العقيق من الغرامنت والمعروف في أوروبا بالحجر القرطاجي وسمي بالقرطاجي لأن قرطاجة هي التي كانت تصدره إلى الأسواق العالمية بعدما تستورده من الغرامنت ، من المحتمل أيضا أن الرقيق كان إحدى السلع التجارية التي يستوردها القرطاجيون من فزان ، ونعلم أن العديد من المدافن القرطاجية تحتوي على الجماجم ذات السمات الزنجية ، كما كان الغرامنت ينقلون من الجنوب العاج والجلود وحتى التمور لصالح القرطاجيين والرومان فيما بعد[2].

و بحكم أهمية هذه التجارة بالنسبة للطرفين نشأت بين الغرامنت و القرطاجيين علاقات ودية وسلمية [3]، كما أن القرطاجيين لم يحاولوا السيطرة على طريق القوافل الذي المدن القرطاجية الثلاث : لبدة و أويا و سبراطة بوسط إفريقيا،[4] ولعل هذا السلم في العلاقات بين الطرفين كان أحد أسباب ازدهار التجارة الصحراوية بشكل كبير في العصر

(1)– ب. سلامة، المرجع السابق، ص 224.

(2) – عبد الرحمن بن عطيا الله ، المرجع سابق ،ص37.

(3) – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 230.

(4) – أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي و الاقتصادي للمدن الثلاث، ط1، الدار الجماهيرية، ليبيا، 1932م، ص119.

القرطاجي، ويعتقد بعض الباحثين أن القرطاجيين كانوا قد وضعوا التسهيلات اللازمة التي كان من شأنها اجتذاب التجارة من داخل الصحراء كما كانوا يساهمون بأنفسهم في الرحلات التجارية نحو فزان، و هذه التجارة ما كان لتتطور لولا الأمن والاستقرار اللازمين لاستمرار النشاط التجاري بين الشمال والجنوب و هذا ما أدى إلى ازدهار العلاقات الغرامنتية-القرطاجية [1].

ب) مع الرومان

لا نعرف بالضبط متى تصدعت العلاقات بين الغرامنت و الرومان لكن من المؤكد أن ذلك كان قبل سنة 19 ق.م، و من المؤكد أيضا أن السبب هو التواجد الروماني في بلاد المغرب و السياسة الرومانية في الأراضي الداخلية و الصحراوية : فلقد كان احتلال الأراضي الزراعية في المغرب يتطلب غطاء استراتيجيا نحو الجنوب، و في هذه المناطق كانت القبائل البدوية مصدر إزعاج بالنسبة للرومان من جهة، ومن جهة أخرى فان فهذه القبائل بحكم هجراتها الموسمية إلى المناطق الشمالية لرعي مواشيها أصبحت ترى في الوجود الروماني خطرا عليها: فهي كانت تتحرك بدوافع اقتصادية بالدرجة الأولى، وفي هذا الإطار يمكن اعتبار الغرامنت خطرا على الرومان إذ بإمكانهم دعم أي عمل عدواني للبدو ضد الرومان[2].

حسب ما ورد في النصوص الرومانية، فان الحرب بدأت بين الرومان و الغرامنت في سنة 19ق.م،[3] حيث أصدر الإمبراطور الروماني أغسطس أوامره لأحد قادته الشباب ويدعى لوكيوس كورنيليوس بالبوس بإخضاع الغرامنت، وقد رد المؤرخين أسباب هذه الحملة

1 - أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص117.

2 - ب . سلامة، المرجع السابق، ص 539 .

3 - محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص208 .

الأغسطية إلى عامل رئيسي وهو تقدم جرمة ونموها بعد ما أصبحت تشكل قوة لا يستهان بها، وهذا ما يتعارض مع مخططات الرومان التوسعية في المنطقة، وأضاف مؤرخين آخرين بأنه من الأسباب أيضا محاولة الغرامنت مشاركة الرومان في السيطرة على المنطقة الساحلية و السبب الرئيسي كما يقول الباحثون هو دعم الغرامنت للقبائل الجيتولية في ثورتها ضد الرومان حيث اعتبروا هذا الموقف تحديا لسلطتهم ، وهذا ما أدى إلى نشوء احتكاك بين الطرفين واتخاذ الرومان لذلك ذريعة لحملتهم على الغرامنت .[1]

أول ما قامت به هذه الحملة هو الاستيلاء على واحة كيداموس (غدامس) أحد المراكز التجارية للغرامنت، حيث أعلنها حليفة له ، واصل بالبوس حملة نحو الجنوب الشرقي،[2]حيث تقول المراجع الرومانية أنه غزا جرمة وعددا من المدن والقبائل و لا تزال هذه الحملة موضع جدال بين المؤرخين،حيث يرى البعض بأن أهداف الحملة كانت محدودة لهذا لم تسفر عن استقرار الرومان في الجنوب، و يبدوا أن القائد بالبوس من طريق أخر غير الذي سلكه أول مرة [3] في حين يرى البعض الأخر أن الأنباء التي يرويها بليني مبالغ فيها، ودليلهم في ذلك أنه لم يعثر بفزان على أي أثر يدل على وصول الرومان في هذا التاريخ المبكر إلى الصحراء سواء كان نقش أو أي شيء مما اعتاد الرومان أن يخلدوا به انتصارا تهم في البلاد التي يفتحوها[4].

1 – أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص66.

2– نفسه، ص67.

3– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص70.

4 - نفسه، ص 142

كما أن النصوص الرومانية تشير أن الغرامنت كانوا يحاربون بعد مرور أقل من مائة سنة من حملة بالبوس على ساحل طرابلس ولا يمكن ذلك إن لم يكن الغرامنت قد طردوا الرومان من فزان أولا ، كما أن سترابون المعاصر لتلك الحملة لم يذكر عنها شيء. (1)

قد يفهم من رواية بليني أن الرومان لم يستقروا بعد هذه الحملة بجرمة ، كما أن الحفريات لم تظهر ما يدل على أن هذه الحملة قد نجحت في إخضاع فزان للنفوذ الروماني ، و يبدو أن الغرامنت قد نجحوا في طرد الرومان في زمن ما بعد عام 17 ق.م ، و ربما أيضا القائد بالبوس نفسه وجد مركزه محفوفا بالخطر فأثر الرجوع إلى لبدة عن طريق أخر وهو طريق وادي زازامت و جبال مسلاتة، استمرت الحرب بين طرفين حيث تقدمت قوات جرمة لمساعدة أويا في حربها ضد لبدة سنة 70 م ، فاستنجد أهل لبدة بالرومان فجاء القائد الروماني فالريو فستوس.(2)

بعد مجيء القائد فالريو فستوس لنجدة أهل لبدة قام بصد الغرامنت عن لبدة واستولى على أويا ، كما تقدم جنوبا حتى التلال المعروفة اليوم باسم الشويرف والتي يسميها بليني بالمنطقة الواقعة خلف الرأس الصغرى ، ولكن الرومان لم ينجحوا في التوغل للجنوب من هذه المنطقة لقيام الغرامنت بقطع خطوط التموين الرومان ، كما قاموا بردمهم لأبارهم خلفهم حيث كانت هناك فرقة خاصة في الجيش الغرامنتي مختصة بردم الآبار(3)، فبدأ الرومان بدورهم في بناء خط الحصون للدفاع عن أملاكهم في الشريط الساحلي و في المنطقة الجبلية الممتدة من جرزة حتى جادوا وغريان و نشاهد على بعض الموزايكو الذي عثر عليه في إحدى ضواحي لبدة مناظر تمثل بعض الأسرى الغرامنت التعساء وهم يقدمون كطعام

---

(1)- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 144 .

(2)- نفسه، صص 141، 142.

(3) - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع سابق، ص227.

للأسود في حلبات لبدة[1] ، ولايعرف من نتائج هذه الحملة إلى أن الرومان لم يستطيعوا التوغل إلى أبعد من الجبال الواقعة جنوبي مزدة بقليل.(2)

يبدو أن العلاقات العدائية بين الغرامنت والرومان استمرت حتى عهد الإمبراطور دوميتيان ،فمع نهاية القرن الأول للميلاد وبداية القرن الثاني سئم الرومان و الغرامنت من هذه الحروب التي لم تصل إلى نتيجة حاسمة ، ويبدوا أن وقوع صدام مسلح بين الرومان وقبائل النسامونس الذين كانوا من قبل على علاقة ود مع الرومان دفعهم إلى إن يقبلوا مبدأ الصلح مع الغرامنت ، كما أن هذه الحرب أنهكت قوى مملكة الغرامنت فلقد أقفلت الحرب أسواق لبدة وصبراتة وأويا في وجه التجارة الغرامنتية بعد ما كانت هذه المدن الثلاث نقطة عبور للتجارة الغرامنتية نحو سواحل البحر المتوسط، كما أن قبائل الصحراء الكبرى الموجودة للجنوب من الغرامنت قد قطعوا طرق القوافل ، وربما أغار حدود جرمة نفسها ، دون أن يجدوا من يقف ضدهم لاشتغال الغرامنت بالحرب في الشمال و نتيجة لهذه الظروف وجد الغرامنت انه من الأحسن عقد الصلح مع الرومان بشرط أن يوافق الرومان على استقلال جرمة و سيادتها[3] .

وتذكر أحد المصادر الرومانية أن أحد الملوك الليبيين يدعى مرسيس خرج على رأس سفارة لمقابلة الإمبراطور الروماني دوميتيان في روما فلم يجده هناك فسافر لمقابلته في بلاد الغال (جنوب فرنسا) سنة 89م، و حسب رأي الدكتور محمد سليمان أيوب فإن الملك الذي قابل الإمبراطور الروماني هو ملك الغرامنت وليس ملك النسامونس لأن الزمن الذي تمت فيه المقابلة عام 89م، كانت العلاقات عدائية بين النسامونس والرومان بسبب

1- انظر الملحق رقم 14 ص 90.

2- محمد سليمان أيوب ، المرجع السابق، صص 145-146 .

3- نفسه ، صص 145-147.

شجار قام بين بعض أفراد هذه قبيلة في نواحي جنوب السرت وبعض الجنود الرومان،[1] فالأقرب إلى العقل أن هذا الملك الليبي من جرمة ، و يوجد دليل أثري أخر و هو الفخار المعروف باسم الأواني السانيونية المصنوعة في الليزو، التي عثر عليها بمقابر الطبقة الرابعة بالجبانة الملكية بجرمة ، وقد اشتهرت بلاد الغال (أين تمت المقابلة بين الإمبراطور الروماني والملك الليبي) بإنتاجها، ويحتمل أن يكون بعض المرافقين للملك الغرامنتي قد اشترى هذه الأواني من بلاد الغال، أو أن بعض التجار الغرامنت المرافقين للملك قد تعاقدوا مع مصانع الليزو على تزويد مملكة جرمة بهذا الفخار الرائع. كما انه هناك دليل تاريخي أخر قوي يدل على أن الشخصية التي قابلت الإمبراطور الروماني كان ملك جرمة : حيث نتج عن هذه المقابلة اتفاقية بين الطرفين لإعادة فتح طرق التجارة مع البلاد الواقعة للجنوب من الصحراء الكبرى بمساعدة الحامية الرومانية بلبدة بالاشتراك مع الجيش الغرامنتي من أجل تطهير طريق القوافل جنوب جرمة من عصابات الأثيوبيين، فوضعت المعاهدة موضع التنفيذ، وحضر إلى جرمة القائد الروماني جوليوس ماتيرنوس، وخرج مع ملك جرمة في مهمة تتمثل في تطهير المسالك والدروب الرابطة بين جرمة وإفريقيا الوسطى من عصابات قطاع الطرق.[2]

لقد أسفرت معاهدة الصلح بين الغرامنت و الرومان على إعادة تنشيط التجارة القائمة بين المدن الثلاث التي ورثتها روما عن قرطاجة (لبدة الكبرى، اويا، وصبراتة) و جرمة، و يبدو انه حتى الرومان كانوا يرون بان تلك التجارة القديمة جديرة بالاستمرار [3].

لقد كانت هذه المعاهدة سببا في علاقات الود والإخاء التي سادت بين الإمبراطورية الرومانية ومملكة جرمة ، فازدادت حجم المبادلات التجارية بين عالم البحر المتوسط وبلاد

1- محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص148 .

2- نفسه، ص 150.

3- بوفيل، المرجع السابق، ص 54 .

السافانا الإفريقية عن طريق جرمة، ووصلت التأثيرات الرومانية إلى جرمة نفسها، و بعد مدة قصيرة من الزمن أصبحت جرمة مدينة الصحراء الكبرى. [1]

كانت القوافل الغرامنتية تستورد من أسواق موانئ البحر الأبيض المتوسط مواد مثل الزيوت ، الخمور، كما كانت تشتري من تلك الأسواق المنتوجات المختلفة : الحريرية والصوفية ، وكان الغرامنت مولعين بلبس الإزار الروماني المصنوع من الجلد، أما الأسلحة الحديدية فقد كانت أهم المبيعات التي حرص الغرامنت على الحصول عليها من الرومان للمتاجرة بها، و هناك ايضا الفخار الروماني الذي حرص الغرامنت على استيراده لغرض الاستعمال اليومي ولغرض التجارة أيضا، حيث عثر في حفريات جبانة سانية بن هويدي قرب جرمة على أعداد مختلفة من أنواع الفخار الروماني ، كما وجد عدد من القناديل الفخارية المختومة على أقراصها بمناظر تمثل شخصيات أسطورية رومانية وإغريقية، [2] كما أسفرت الحفريات بجرمة على العثور على الخزفيات الرومانية التي ترجع إلى القرن الثاني ميلادي بشكل كبير [3].

من جهة أخرى، فإن العثور على ثروة في القبور بوادي الآجال حيث تعتبر من أجود السلع التي ينتجها الرومان ، يدل على أن الغرامنت كانوا يمتلكون أشياء كان الرومان بحاجة إليها و مستعدون لدفع ثمنها[4]، لكن المصادر الرومانية لم تذكر لنا ما هي السلع التي يستوردها الرومان من الغرامنت، و بناءا على معرفتنا بأن الغرامنت كانوا المصدرين

---

(1) – بوفيل، المرجع السابق،ص 143.

(2)– محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 213.

(3) – تشارلز دانيلز المرجع السابق، ص82.

(4)– نفسه، ص81.

للعقيق الأحمر (الحجر القرطاجي) و بوفيل يعتبر هذا الحجر السلعة الرئيسية لتجارة الغرامنت، كما يرى بليني أن العاج هو السلعة الثانية بعد العقيق الأحمر[1]، كما كان الرومان يستوردون الحيوانات المفترسة والخيول التي يقول سترابون بأن إنتاج الغرامنت منها سنويا يبلغ 1000مهر، إضافة إلى الثيران ، للأبقار،[2]و بوفيل يرى بأن الرقيق و الذهب كانت من بين السلع التي يستوردها الرومان من فزان[3].

1– تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص82.

2 – محمد سليمان أيوب، المرجع السابق،ص 213.

3 - بوفيل، المرجع السابق، ص 87.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال بحثنا هذا المتواضع توصلنا إلى عدة نتائج في ما يتعلق بالغرامنت و لعل أهمها هي:

– الغرامنت باعتبارهم إحدى الشعوب الصحراوية ، فإن البحث في أصولهم يقودنا حتما إلى البحث في تاريخ الصحراء الكبرى و التغيرات المناخية التي عرفها و اثر ذلك على الشعوب التي استقرت فيه منذ عصور ما قبل التاريخ، لأن مسالة إعمار الصحراء الكبرى منذ عصر ما قبل التاريخ إلى غاية الفترات التاريخية (العصر القديم ، الوسيط ...ايخ) هو مسار طويل و معقد ينبغي فهمه على أسس علمية موضوعية.

– الغرامنت وفق المعطيات الأثرية و الباليونتولوجية يمثلون أحفاد السكان المتوسطيين، أو الجنس ذو الملامح المتوسطية الذين وصلوا إلى الصحراء الكبرى خلال الفترة ما بين الألف السابعة و الألف الرابعة قبل الميلاد، و هذا ما ذهب إليه العديد من المختصين مثل هنري لوت، و كامبس، و مليكة حشيد، و موزوليني و آخرون، و هذا لا يعني انه لم يكن هناك احتكاك و تواصل و اختلاط مع الأجناس الإفريقية الأخرى، فسكان الصحراء منذ فترة ما قبل التاريخ كانت تجمعهم ثقافة مشتركة، حيث تركوا لنا عشرات الآلاف من الرسومات الصخرية التي عبروا من خلالها عن أفكارهم و معتقداتهم، وعن حياتهم اليومية .

– الغرامنت من خلال الفن الصخري و النصوص القديمة كانوا يمتلكون العربات التي تجرها الخيول، و كانوا يستخدمونها لعبور الصحراء و قطع المسافات الطويلة لربط الاتصال مع الشعوب الأخرى سواء مع إفريقيا ما وراء الصحراء أو مع عالم البحر المتوسط و هذا قبل وصول حيوان الجمل إلى شمال إفريقيا ، وهنا يتبين لنا ضرورة التخلي عن الفكرة القائلة بأن الصحراء كان حاجزا طبيعيا للتنقل و السفر و التواصل الحضاري بين سكان شمال إفريقيا و الأراضي الإفريقية الواقعة ما وراء الصحراء .

- ينبغي التخلي عن الفكرة القديمة التي رسخها المؤرخون الإغريقيون و اللاتينيون، التي تقول بأن الغرامنت شعب بدوي همجي و لا يحكمه قانون أو نظام ، و هذا لا يعنى أنه يمكن الاستغناء عن ما كتبه المؤرخون القدامى خاصة المؤرخ اليوناني هيرودوت، لكن ينبغي الاعتماد على مصادر أخرى (الأثرية) و على مقاربات جديدة، حتى لا يعود تاريخ الصحراء الكبرى و شعوبها يحكم عليها فقط من الخارج .

- الأبحاث الأثرية الحديثة حول الغرامنت اثبتت أنهم شكلوا كيانا سياسيا عرف تطورا في جميع الميادين ، وأثبتت أيضا أن منطقة وادي الآجال الذي يقع في وسط إقليم فزان بجنوب ليبيا هو موطنهم و فيه توجد عاصمتهم "جرمة" التي تحدثت عنها المصادر القديمة ، لكن قبل استقرارهم في جرمة كان مقرهم في زنككرة التي تقع في الحمادة الحمراء شمال وادي الآجال.

- منطقة وادي الآجال المحصورة بين صحراء أوباري من جهة الشمال و الهضبة الصخرية من جهة الجنوب غنية جدا بالمياه الجوفية التي تخرج تلقائيا على شكل عيون، و هذا ما يفسر لنا لماذا استقر الغرامنت في هذه المنطقة، و هو ما أدى إلى التطور في الميادين الأخرى خاصة في مجال الزراعة ، حيث انتعشت و تطورت بفضل استعمال نظام الري المتمثل في استخدام تقنية الفقارة لنقل المياه من مصادرها إلى الأراضي الزراعية ، ونحن نعتقد أن دليل وجود الزراعة في الواحات يثبت أن الصحراء الكبرى خلال العصر القديم لم تكن بمعزل عن التطور الحضاري الحاصل في العالم القديم، فالزراعة كانت دائما عاملا من عوامل الاستقرار الذي يؤدي إلى التطور و الإبداع في الميادين الأخرى، كما مارسوا أيضا حرفة الرعي و تربية الحيوانات .

- يمكن الحديث عن وجود مجتمع منظم يحكمه الملك و الطبقة المهيمنة سياسيا و هم كبار التجار و حكام الأقاليم، و المجتمع منقسم إلى عدة فئات وكل فئة لها دور معين، و

يمكن القول أيضا أن المجتمع تميز بالتعدد الاثني، و هذا أمر ليس بغريب فالصحراء الكبرى منذ القدم كانت محل التقاء و اختلاط الأجناس المتوسطية بالأجناس الإفريقية

– فيما يخص الجانب الثقافي : العادات و التقاليد و الحياة الفكرية و الدينية ليس هناك ما يجعلنا نعتقد بوجود اختلاف كبير بين الغرامنت و القبائل الليبية الصحراوية الأخرى .

– المجتمع الغرامنتي عرف تطورا عمرانيا كبيرا إلى درجة أن المؤرخ و الجغرافي اليوناني بطليموس قال بان جرمة هي إحدى الحواضر الكبرى في زمنه ، و هو ما نراه من خلال أثارها التي لا تزال إلى يومنا هذا .

– الغرامنت بحكم الموقع الاستراتيجي لعاصمتهم ، استطاعوا فرض سلطتهم و نفوذهم على كل منطقة فزان ، و ربما امتد نفوذهم إلى الأراضي الأخرى ، و سيطروا على الطرق التجارية الصحراوية ، و تمكنوا من إقامة علاقات تجارية مع دول و حضارات البحر المتوسط من جهة ، و مع شعوب إفريقيا ما وراء الصحراء من جهة أخرى.

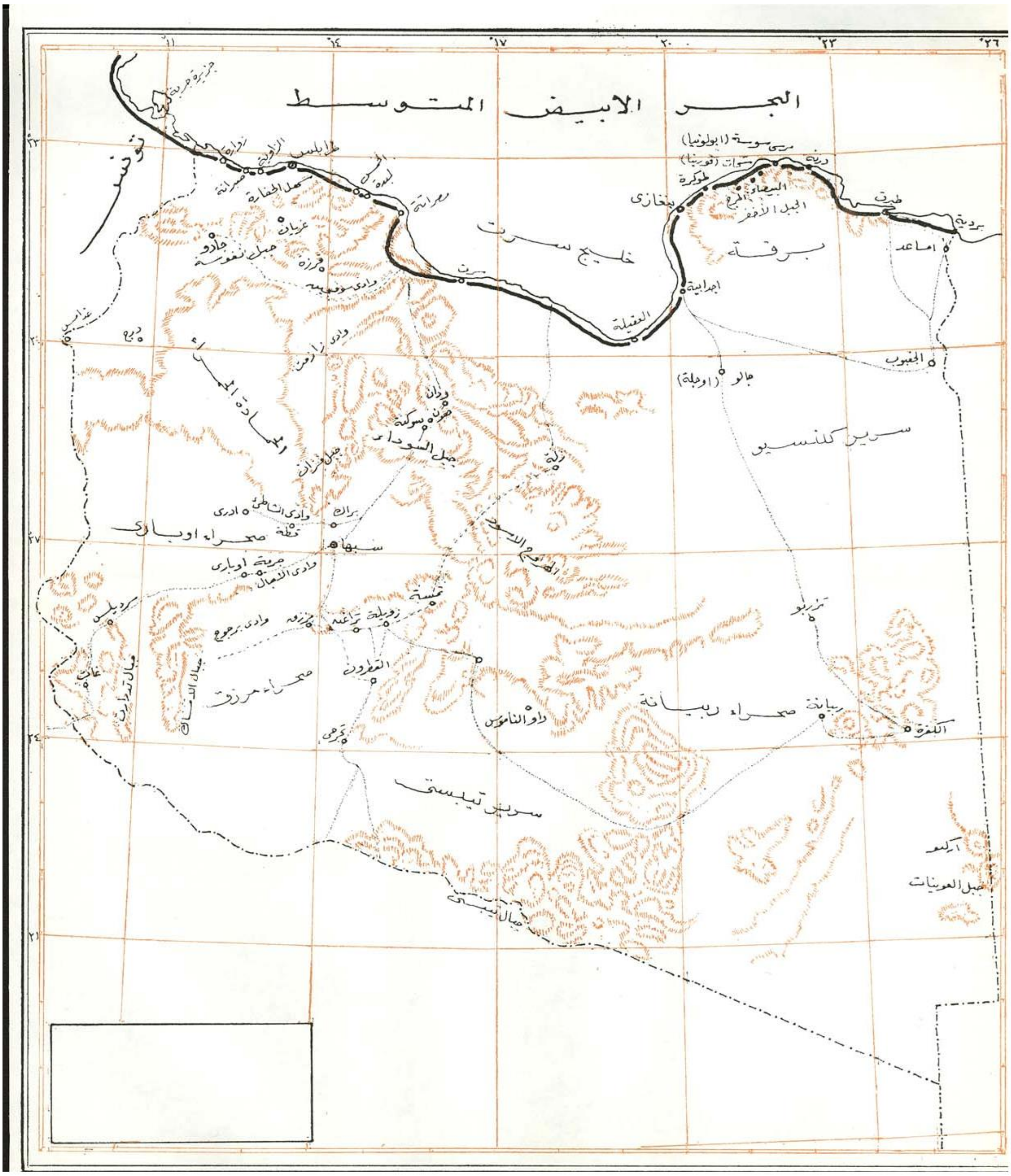
– تعتبر التجارة العابرة للصحراء موردا اقتصاديا هاما بالنسبة للغرامنت، فلقد كانوا وسطاء تجاريون، كانوا ينقلون السلع من الأسواق التجارية في لبدة و اويا و صبراتة إلى فزان و أيضا إلى أسواق النيجر و التشاد و غيرها ، و في هذا الإطار يمكن اعتبارهم حلقة وصل بين إفريقيا السوداء و عالم البحر المتوسط خلال العصر القديم .

– يمكن القول أن اصطدامهم بالرومان و بالمشروع الروماني في شمال إفريقيا خلال القرن الأول للميلاد كان خير دليل على أنهم كانوا قوة سياسية و عسكرية لا يستهان بها .

الخاتمة

الملاحق

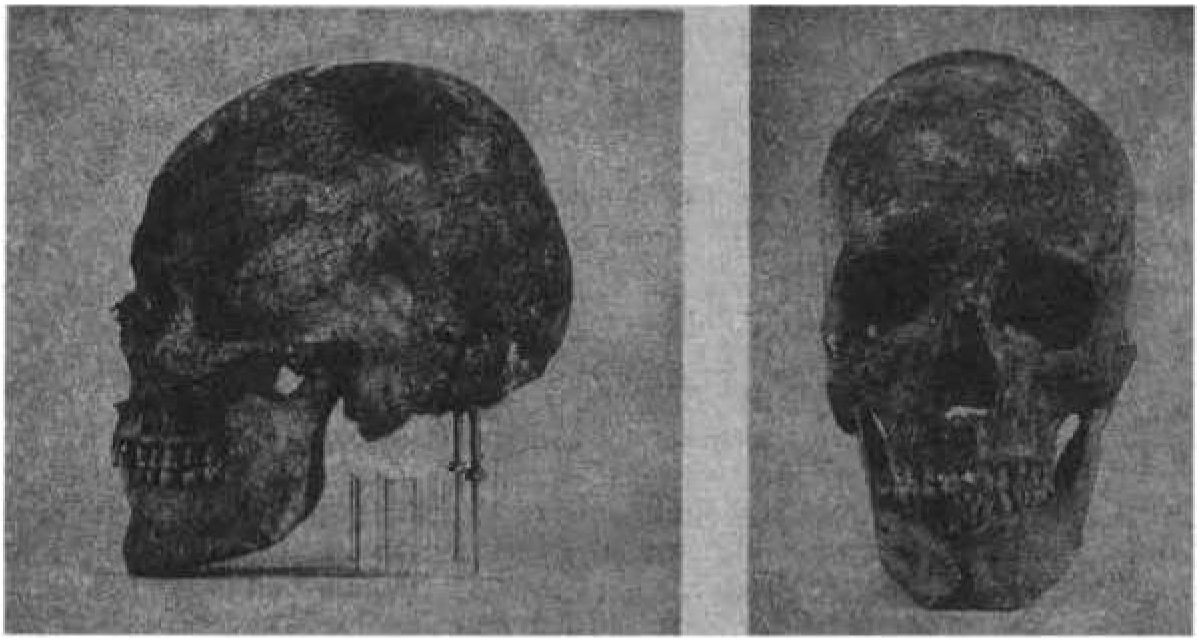
الملحق رقم 1:



الشكل رقم 1 – خريطة توضح موقع إقليم فزان بليبيا[1]

[1]- محمد سليمان ايوب، المرجع السابق، ص 39 .

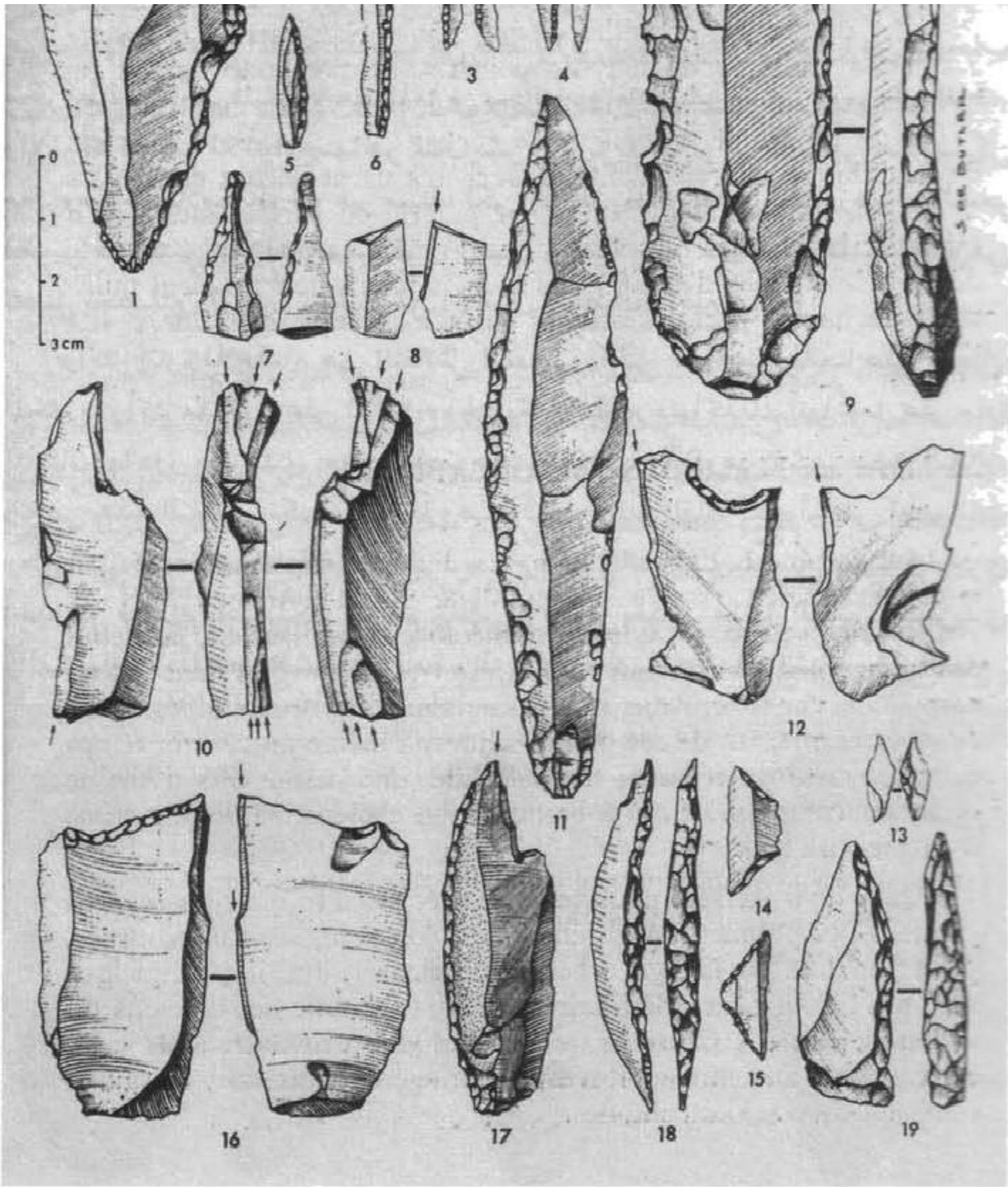
الملحق رقم 2:



الشكل رقم 1: – جمجمة الإنسان القفصي من النوع المتوسطي : (من قبُل و من جنب)[1].

[1] - غابريال كامبس، البربر ذاكرة و هوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، ط1، أفريقيا الشرق– المغرب، ص 75 .

الملحق رقم 3:

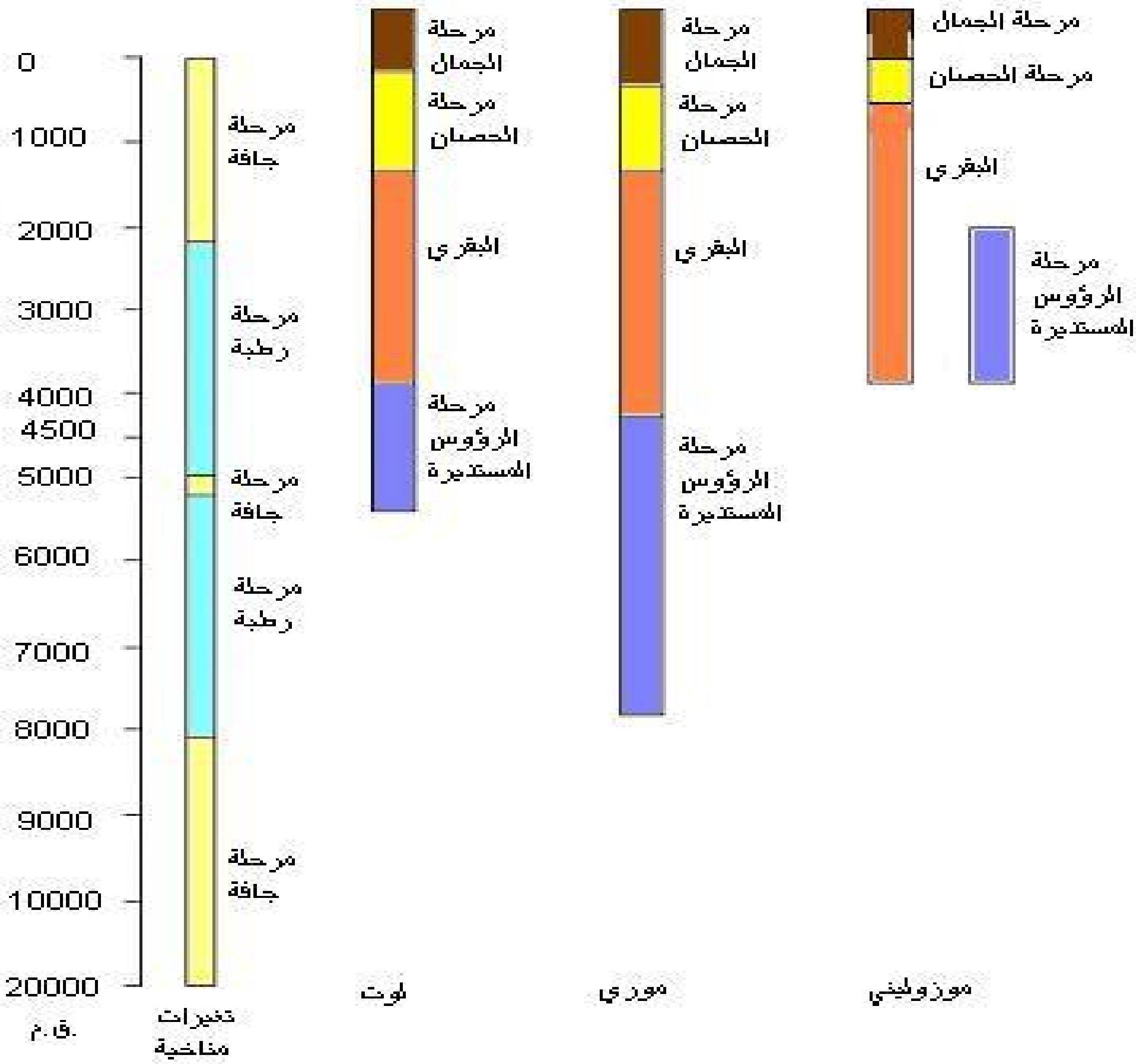


10 . مصنوعات حجرية من العصر القفصي النموذجي (موقع الواد، شرق الجزائر).

الشكل رقم 1: – نماذج من الصناعة الحجرية القفصية[1].

[1]- غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 79 .

الملحق رقم 4:



الشكل رقم 1 – تقسيم علماء الآثار للفن الصخري إلى عدة مراحل.[1]

[1]- بحرة نادية، المرجع السابق، ص 29 .

الملحق رقم 5:



الشكل 1



الشكل 2

- الشكلان 1 و 2 يمثلان الأسلوب البقري الحديث في ايهرن ، الذي يصور أشخاص من النوع المتوسطي (méditerranéens)[1] .

[1]- غابريال كامبس ، المرجع السابق، ص 96 .

الملحق رقم 6:



الشكل رقم 1[1]



22. رسوم من الأسلوب الخيلي في تامجرت (تاسيلي نعاجر).

الشكل رقم

الشكلان 1 و 2 يمثلان رسومات صخرية من انجاز الخيليين[2]

-1 -dossiers pédagogique, op.cit.

-2 غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 99 .

الملحق رقم 7:

Situation	Types d'habitation	Exemples de peuples	Aspects charactéristiques
Tout près de la côte	Les villes	*Libyphoenices*	Assez civilisés Sédentarisés Cultivateurs
L'intérieur de la côte L'intérieur plus loin de la côte	Les huttes, les cabanes (*mapalia*)	*Proximes* *Gaetuli* *Interiores*	Moins civilisés Non-sédentarisés Vie pastorale Moeurs suspectes
L'intérieur du désert	Les huttes isolées	*Garamantes* *Augilae* *Ethiopes*	Pas civilisés Les barbares Nomades L'immoralité Les noirs
Plus loin dans le désert	Les caves	*Troglodytae*	Vies anormales Langues primitives
Très loin dans le désert	Absence d'habitations	*Blemys* *Satyres*	Gens fantastiques (manque les têtes) Sous-humains Pas de langue

الشكل رقم 1 [1]

[1] -Mattingly David, op.cit, pp .445−461

الملحق رقم 8 :



الشكل 1: – منظر لمدينة جرمة الاثرية[1].

[1]- عبد الرحمان بن عطيا الله، المرجع السابق، ص 38 .

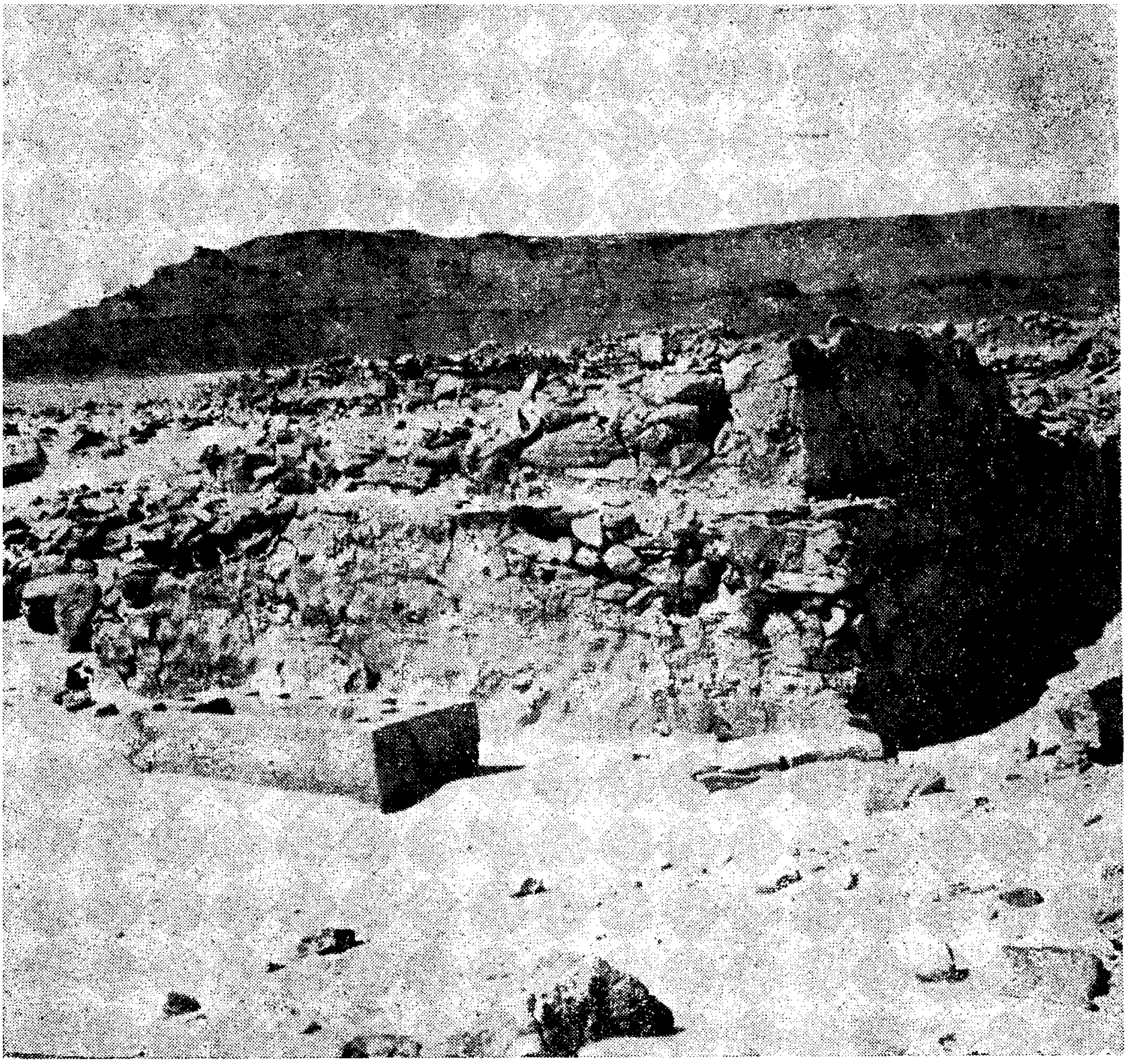
الملحق رقم 9:



الشكل 1: – منظر على بقايا مدينة جرمة الأثرية[1].

[1]- عبد الرحمان بن عطيا الله، المرجع السابق، ص 40.

الملحق رقم 10:



القبر رقم ٣٠ من المجموعة الثانية للجبانة الملكية – جرمة

الشكل 1[1]

[1]- محمد سليمان ايوب ، المرجع السابق، ص 176 .

الملحق رقم 11:



الشكل رقم 1: – قصر وطوط من الجهة الشمالية الغربية[1].

[1]- تشالز دانيلز ، المرجع السابق، ص 58 .

الملحق رقم 12:

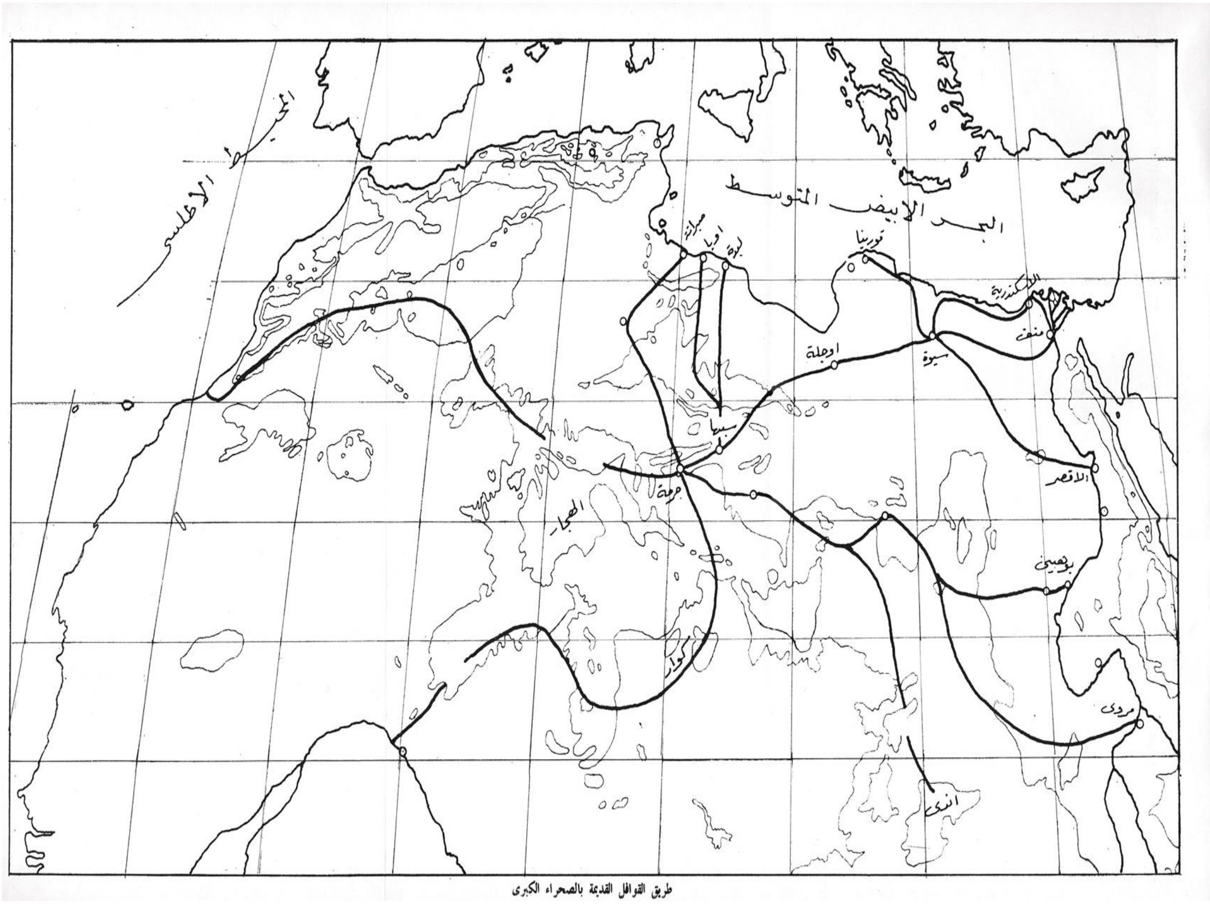


الشكل رقم ٥: الجرمنتيون بعد بيتس. أ. الزعماء وعائلاتهم. ب: محارب
ج: زعماء وأتباعهم .

الشكل رقم 1.[1]

[1]- تشالز دانيلز ، المرجع السابق، ص 47 .

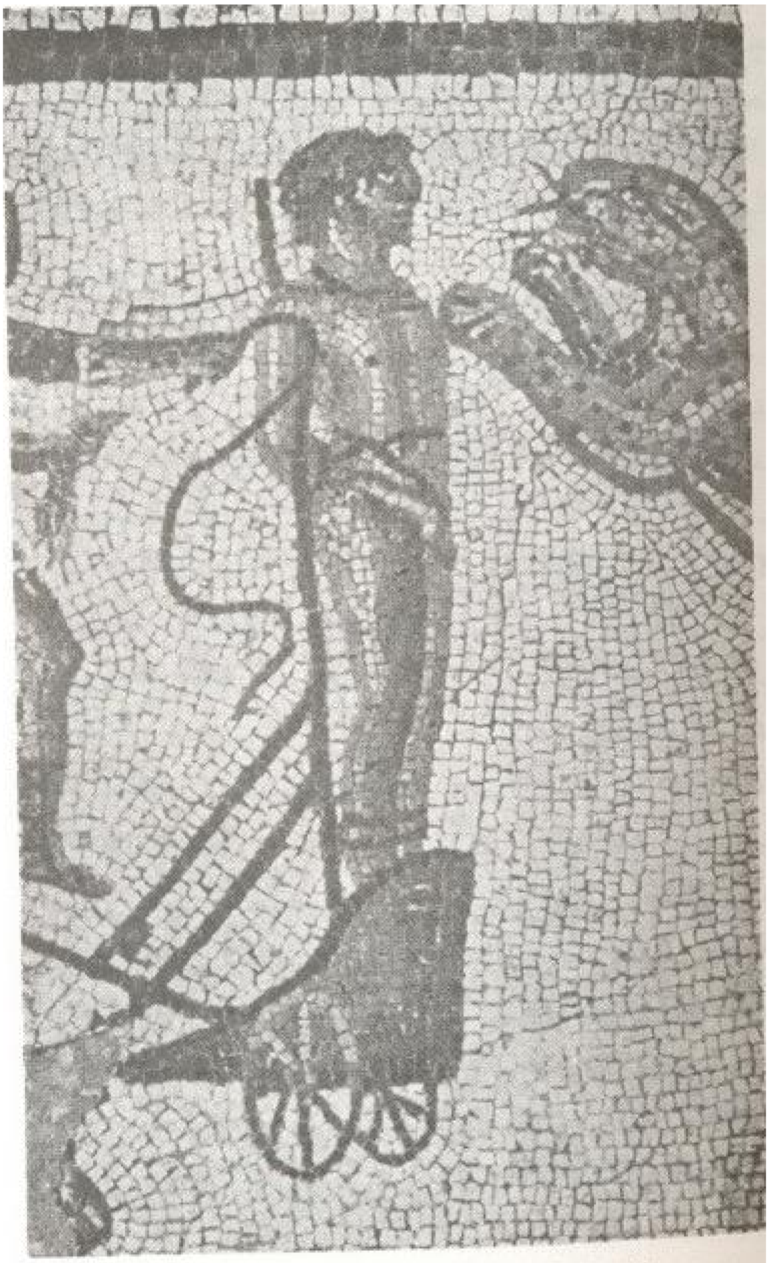
الملحق رقم 13:



الشكل رقم 1: – طرق القوافل التجارية بالصحراء الكبرى خلال العصر القديم.[1]

[1]- محمد سليمان ايوب ، المرجع السابق، ص 264 .

الملحق رقم 14:



الصورة رقم ٥ : سجين جرمنتي على موزايك زليطن

الشكل رقم 1[1] .

[1]- تشالز دانيلز، المرجع السابق، ص

الببليوغرافيا

البيبليوغرافيا

المصادر:

أ) المصادر بالعربية:

1) هيرودوت, تاريخ هيرودوت, ترجمة عبد الإله ملاح/ مراجعة أحمد السقاف، ط 1، المجمع الثقافي، أبو ظبي 2011.

ب) المصادر بالأجنبية:

1) Claude Ptolémée, Traité de géographie, Trad. M.L'Abbé Halma, Eberhart, Imprimerie du collège royal de France, Paris 1828.

2) Pline l'ancien, Histoire naturelle V.

3) Strabon, Géographie XVII, 3.

4) Tacite, Œuvre complète de Tacite, Trad. Charles Louandre, 1er ed, Charpentier-Libraire-édition, Paris 1845.

المراجع:

أ) المراجع بالعربية

1) أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث،ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته – ليبيا 1989م.

2) ب.سلامة، الصحراء في التاريخ القديم، اللجنة العلمية الدولية(اليونسكو) لتحرير تاريخ إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الثاني، جون أفريك، باريس 1983م.

3) بحرة نادية، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة أدمر (التاسيلي- أزجر- الصحراء الوسطى- الجزائر) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار(غير منشورة)، جامعة الجزائر 2005-2006.

4) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الدكتور الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز،ط 2، منشورات جامعة قاريونسرا، بنغازي – ليبيا 1988م.

5) تشالز دانيلز، الجرمنتون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، ط 1، دار الفرجاني طرابلس- ليبيا 1991.

6) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، الجزء الرابع، تامغناست للنشر، د ط، د ت ن.

7) غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، ط 1، إفريقيا الشرق، المغرب 2014م.

8) غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق الدكتور العربي عقون، ط 1، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار- الجزائر.

9) لخضر بن بوزيد،التاسيلي ازجر في ما قبل التاريخ المعتقدات و الفن الصخري، د ط، د د ن ، د ت ن .

10) محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100-1000) ق. م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم (غير منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008م.

11) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط 1،دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس- ليبيا 1969م.

12) محمد عوض محمد، شعوب وسلالات إفريقيا، سلسلة دراسات إفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ت ن.

13) مصطفى أعشي،أحاديث هيرودوت عن الليبيين (487/489-425 ق.م)، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2009م.

14) هـ. ج . هوغو، الصحراء فيما قبل التاريخ، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا(اليونسكو)، الجزء الأول، جون أفريك، باريس 1983م.

ب) المراجع بالأجنبية:

1) F.EL-Rashdy, les pratiques funéraires des garamantes et leurs relation avec c'elles d'autres peuple d'Afrique du Nord, Libya antiqua, Unesco, Paris 1988.

2) R.et M.Cornevin, Histoire de l'Afrique des origines à la 2eme guerre mondiale, 4emeed ; bibliothèque Payot, Paris 1964.

الجرائد و المجلات:

1) الربيع عولمي، إعمار الصحراء الكبرى إبان العصر النيوليتي من خلال الرسوم، مجلة الواحات للبحوث و الواسات، العدد 15، جامعة الحاج لخضر- باتنة 2013 م.

2) أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم: " الرسوم الصخرية و الآثار المصرية"، مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية(، (C.R.A.S.C .Copyright©2015 c.r.a.s.c

3) عبد الرحمن بن عطيا الله، المدن و التمدن في الصحراء الكبرى قديما: دراسة حالة شعب الغرامنت، مجلة عصور جديدة، العدد العاشر، جامعة وهران 2014.

4) A.MUZZULINI, A 137.AKAKUS, Encyclopédie berbère III Ahaggar Ali ben Ghania, Edisud, la calade, 13090, Aix-en-Provence, France.

5) Dossier pédagogique, Peintures préhistorique du Sahara central – Tassili-n-Ajjer, Musée de louviers 21 Décembre 2014, Ministère de l'éducation National Française.

6) G.Camp, Les garamantes, conducteurs de chars et bâtisseurs dans le Fezzan antique, Juin 2002, Copyright Clio 2016.

7) J.Desange, « Garamantes », in 19/Filage-Gastel, Aix-en-Provence, Edisud (volume n°19), 1988, p.2969-2971.

8) Marianne Cornevin. Les néolithiques du Sahara central et l'histoir général de l'Afrique. In : Bulletin de la société préhistorique Française. 1982, tome 79, N.10-12.pp.439-450.

9) Mattingly David. Nouveau aperçus sur les garamantes : Un état Saharien ?. In : Antiquités africaines, 37, 2001. pp .45-61.

Henry Lhote, Le peuplement du Sahara néolithique d'après (10
l'interprétation des gravures et des peintures rupestres, journal de la
.société des africaines 1970. 40 (40-2) : 91-102

Souville George. Camps(Gabriel) : Les civilisations (11
préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara. In : Revue de
.l'occident musulman et de la méditerranée, n°20,19750.pp.179.181

P. Trousset, « Garama », Encyclopédie berbère, 19/Filage- (12
.Gastel, Aix-en-Provence, Edisud, 1988, p 2964-2969

Trousset Pol . Les oasis présahariennes dans l'antiquité (13
partage de l'eau et division du temps. In : Antiquité africaines,
. 22,1986. pp.163-193

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

علاقة الغرامنت بالشعوب الأخرى